قصة المدعو عبد القادر

المسيح الدجـال يطوف بالكعبة .... نبـوءة .. هل تحـققت؟!

قال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم: (إن اللهَ ليس بأعورَ، ألا إن المسيحَ الدجالَ أعورُ العينِ اليمنى، كأن عينَه عنبةٌ طافيةٌ، وأُراني الليلةَ عند الكعبةِ في المنامِ، فإذا رجلٌ آدمُ، كأحسنِ ما يُرى من أُدْمِ الرجالِ تَضرِبُ لِمَّتُه بين مَنكَبيه، رَجِلُ الشعرِ، يَقطُرُ رأسُه ماءً، واضعاً يديه على مَنكِبي رجلين وهو يطوفُ بالبيتِ، فقلتُ: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيحُ بنُ مريمَ، ثم رأيتُ رجلاً وراءَه جعداً قطِطاً، أعورَ العينِ اليمنى، كأشبَهِ من رأيتُ بابن قَطَنٍ، واضعاً يديه على مَنكَبي رجلٍ يطوفُ بالبيتِ، فقلتُ: من هذا؟ قالوا: المسيحُ الدجالُ). [رواه الشيخان، واللفظ للبخاري].

مقدمة:

ارتسمت ابتسامة عريضة على محيا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وتهلل ضاحكاً، وهو يسمع أحد النصارى الذين أسلموا يروي تفاصيل مثيرة، أنه هو ومجموعة من رفقته صادفوا المسيح الدجال في إحدى الجزر ، وجرت بينه وبينهم تساؤلات كانت غاية في العجب، ونهاية في الغرابة.

لم يستأثر رسول الله بسماع تلك القصة فأخذ يجمع الصحابة، ويأمر بالنداء (الصلاة جامعة) ، ولم يكتف برجال الصحابة حتى جمع النساء أيضاً.

حتى إن الرواية التي أودعها الإمام مسلم في صحيحه كانت عن طريق الصحابية فَاطِمَة بِنت قَيْسٍ أخت الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ وَكَانَت مِنَ المُهَاجِرَاتِ الأوَلِ، قالت: سَمِعتُ نداءَ المُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلم يُنَادِي الصَّلاَةَ جَامِعَةً.

فخرجْتُ إلى المسجد فصليتُ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلم فكُنتُ في صَفِّ النساءِ التي تلي ظُهُورَ القَوْمِ فلما قضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم صلاتَهُ جلسَ على المنـبر وهو يضحكُ فقال: **(لِيَلْزَم كلُّ إنسانٍ مُصَلاَّهُ)** ، ثم قال: **(أَتَدرُونَ لِمَ جَمَعتُكُم؟)**.

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: **(إني واللهِ ما جَمَعتُكُم لرغبةٍ ولا لرهبَةٍ !!.ولكن جَمَعتُكُم لأنَّ تميماً الداري كان رجُلاً نَصرَانِيّاً فجاءَ فبايعَ وأسلَمَ. وحدَّثني حديثاً وافقَ الذي كنتُ أُحَدِّثُكُم عن المسيحِ الدجالِ)**.
وفي السطور الآتية حديث الدجال :

عن فاطمةَ بنتِ قَيْسٍ أُختُ الضَّـحَّاكِ بنِ قَيْسٍ وكانت مِنَ المهَاجرَاتِ الأوَلِ، قالت: سمعتُ نِداءَ المنادي مُنَادي رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلم يُنَادي؛ الصلاةَ جامِعَةً. فخرجتُ إلى المسجدِ فَصَلَّيْتُ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم فكنتُ في صفِّ النساء التي تلي ظُهُورَ القوم فلمَّا قضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم صلاتَهُ جلَسَ على المنبر وهُوَ يَضحَكُ فقال: **(لِيَلزم كُلُّ إنسانٍ مُصَلاَّهُ)**. ثمَّ قال: **(أتدرُونَ لِمَ جمعتُكُمْ؟)**. قالوا: الله ورسولُهُ أعلم. قال: **(إنّي والله ما جمعتُكُم لرغبةٍ ولَا لرهبَةٍ ولكِن جمَعتُكم لأن تميماً الداريَّ كانَ رجلاً نصرانياً فجاءَ فبايَعَ وأسلمَ وحدثني حديثاً وافقَ الذي كنتُ أحَدِّثكم عَن مسيح الدجال، حدَّثَنِي أنه رَكِبَ في سفينَةٍ بحريَّةٍ مع ثلاثِينَ رجلاً من لَخْمٍ وجُذَامَ، فلعبَ بهِمُ المَوْجُ شهراً في البَحر، ثمّ أرفئُوا إلى جزيرةٍ في البحرِ حتى مغرب الشمسِ فجلسوا في أقرُبِ السفينَةِ فدخلوا الجزيرةَ فلقيتهُم دابةٌ أهْلَبُ كثيرُ الشعرِ لا يدرونَ ما قُبُلُهُ مِن دُبرِهِ منَ كثرةِ الشعرِ، فقالوا: ويْلَكِ ما أنتِ؟ فقالت: أنا الجسَّاسَةَ.**

قالوا: وما الجسَّاسة؟ قالت: أيها القومُ انطلقوا إلي هذا الرجلِ في الدَّيْرِ فإنه إلى خبركُم بالأشواق. قال: لَمَّا سَمَّت لنا رجلاً فَرِقنَا منها أن تكونَ شيطانةً. قال: فانطلقنا سِرَاعاً حتى دخلنا الدَّيْر فإذا فيه أعظمُ إنسَانٍ رأيناه قط خلقاً وأشدُّهُ وثاقاً مجموعَةٌ يداهُ إلى عُنُقِهِ ما بين رُكبتيه إلى كعبيهِ بالحديد. قلنا: ويلكَ ما أنتَ؟ قال: قد قدَرتُم على خَبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحنُ أُناسٌ مِنَ العربِ ركبنَا في سفينةٍ بَحْريَّةٍ فصادفنَا البَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فلعبَ بنا المَوْجُ شَهْراً ثُمَّ أرفأنَا إلى جزيرتكَ هذه فجلسنا في أَقْرُبِهَا فدخَلنا الجزيرة فلقيتنا دابّةٌ أهلبُ كثير الشَّعرِ لا يُدرَى ما قُبُلُهُ من دُبرِهِ من كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: ويلَكِ ما أنت فقالت: أنا الجسّاسة. قلنَا: وما الجسّاسةُ؟! قالتِ: اعْمِدُوا إلى هذا الرجلِ في الدَّيْرَ فإنه إلى خبركم بالأشوَاقِ. فأقبلنَا إليكَ سِرَاعاً، وفزعنَا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانةً. فقال: أخبروني عن نخل بَيْسانَ. قلنَا: عن أيِّ شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يُثمِرُ؟ قلنا له: نعم. قال: أمَا إنه يوشك أن لا تُثمِرَ. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أمَا إنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أن يذهب. قال: أخبروني عن عَينِ زُغَرَ. قالوا: عن أي شأنهَا تستخبر؟ قال: هل في العينِ مَاء؟ وهل يزرَعُ أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم .. هي كثيرة الماء وأهلها يزرعونَ من مَائِهَا. قال: أخبروني عن نبي الأُمِّيِّينَ، ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب. قال: أقاتَلَهُ العربُ؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العربِ وأطاعُوهُ. قال لهم: قد كانَ ذلكَ؟ قلنا: نعم. قال: أمَا إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيحُ وإني أوشكُ أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسيرَ في الأرض فلا أدعَ قريةً إلا هبطتُهَا في أربعينَ ليلةً غير مكةَ وطيْبَةَ فهمَا مُحرمتانِ عليّ كلتاهُمَا كلما أردتُ أن أدخُلِ واحدةً أو واحداً منهما استقبلني مَلَكٌ بيدهِ السيفُ صلتاً يصدني عنهَا وإنَّ على كلِّ نقبٍ منها ملائكةً يحرسُونها). قالت: قال رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم وطعنَ بمِخْصَرَتهِ في المنبر: **(هذه طَيْبةُ، هذه طَيْبةُ، هذه طَيْبةُ –يعني المَدينةَ– ألا هل كنتُ حدَّثْتُكُم ذلك؟).** فقال النَّاسُ: نعم. **(فإنهُ أعجبني حديثُ تميم أنه وافقَ الذي كنتُ أحدثكُم عنه وعنِ المدينَةِ ومكة، ألا إنهُ في بحرِ الشَّامِ أو بحر اليمن، لا بل من قِبَلِ المشرقِ ما هو. من قِبَلِ المشْرقِ ما هو. من قِبَلِ المشْرقِ ما هو)** وأَوْمَأَ بيَدِهِ إلى المشْرقِ. قالت: فحفظتُ هذاَ من رسول الله صلّى الله عليه وسلم. [رواه مسلم (٧٥٧٣)].

سبحان الله ! وافق الذي كنت حدثتكم به؟!

وما الداعي أن يوافق قولُ رسولِ الله قولَ نصرانيٍ أسلمَ للتو؟! ما الداعي وهو الصادق المصدق؟! وقوله أصدق من الواقع؟!

إنها الرحمة المهداة، لا يذكر حديثاً إلا ويبتهج فرحاً حين يرى الواقع يوثق حديثه، ويزيد تصديقه، وكما أن الله لم يحرم النبي المصطفى من الابتهاج فرحاً بتصديق الواقع لحديثه، ليزداد الصحابة إيماناً مع إيمانهم ؛ فإن الله لم يحرم خليله المصطفى بعد موته من تصديق الواقع لحديثه ليزداد إخوانه إيماناً مع إيمان، **(**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**)** [آل عمران: ٥٣]

فإليكم قصة رجل لم يصادف الدجال في جزيرة ولم يكن اللقاء معه عابراً ، كلا وإنما عاشره سنين ، نعم سنين !.

وإذا كان في جلسة واحدة من تميم بن أوس الداري مع الدجال حصل فيها تساؤلات نافعة.

فقد جرى لصاحبنا الشيخ محمد الحودلي سيلٌ من التساؤلات النافعة في سنين عدداً.

وكما جمع النبي صلّى الله عليه وآله وسلم الصحابة لسماع تفاصيل قصة تميم الداري مع الدجال.

فقد حاول صاحبنا أن يُسمع الناس كلهم تفاصيل تلك القصة ، وخاصة المشايخ المشهورين والدعاة المؤثرين ، كالشيخ سفر الحوالي، والشيخ محمّد المنجد، والشيخ أمين جعفر، وستأتي ردود فعل كلٍ منهم في ثنايا هذه القصة ، وكما دوّن رواة الحديث تلك القصة ومنهم الإمام مسلم وتناقلوها جيلاً بعد جيل فإنا

بإذن الله تعالى سنروي تلك القصة وندوّنها وننقلها للعالمين ، (ومن كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة).

نعم قصة ليست من نسج الخيال، وإن كانت أغرب من الخيال ، ومن دواعي تصديقها، أن بلغت الغاية في غرابتها إلى درجة لا يمكن أن يهتدي مخرجٌ ولا مؤلف ولا منتج إلى غزل فصولها ونسج خيوطها، ولذا لا يشك عاقل في صدق القصة ولا يتردد في قبولها، وإن كان لا يعرف صاحبها.

فإن الكذب ريبة، والصدق طمأنينة ؛ الكذب ريبة تقلقك تصاريفه، وتقبضك تفاصيله، ولا أثر له في هذه القصة ، والصدق طمأنينة تريحك تصاريفه، وتُمْتِعك تفاصيله، وهو ما طفحت به تفاصيل هذه القصة.

بين أواخر القرن الماضي مع بدايات هذا القرن وقعت أول فصول وتفاصيل القصة ؛ الأسماء والشخصيات والأماكن والأزمنة كما ذكرها راوي القصة.

محور القصة شخصيتان:

قد نجتهد في تحديد كُنهِهما إلا أننا سنترك للقارئ تحديد ذلك بنفسه والإنسانُ على نفسه بصيرة ، فرغم احتشاد الأدلة والقرائن إلا أن أبا عبدالله راوي القصة الذي لابس أحوالها وعاش فصولها، لا يقترب من الجزم بالتحديد والتعيين حتى يظهره الله ويقضي أمراً كان مفعولاً.

وقد استقينا تفاصيل هذه القصة من الشيخ محمد الحودلي مباشرةً، ومِن بعض مَن عاشوا معه أحداثها.

وهي قصة لها ضجيج عالٍ وصخب مرتفع من آثار تداعياتها وتبعاتها، فهي قصة لها ما بعدها، وسيقف التاريخ عندها ملياً، يتملؤ فيها ويرويها ويعيش لحظاتها، ولن يمر عليها مروراً عابراً، ولذلك كان لزاماً أن تضبط هذه القصة ليقف عليها الناس متأملين مفكرين ومستقين من معينها ما يروي ظمأهم ويشبع جوعتهم في كثير من أحداث آخر الزمان ؛ **(**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)** [الأعراف:١٧٦].

البداية:

في تسعينيات القرن الماضي رُحِّل اليمنيون من أرض الحرمين، وأصدرت السلطات السعودية قراراً بمنع اليمنيين من دخول أرض الحرمين إلا بكفالات مرهقة وعراقيل متعبة، ثم مضى على ذلك المنع ست سنواتٍ عجاف، بعده فقط سمحت الحكومة السعودية بمنح تأشيرة الدخول لليمنيين وسهلت الموضوع قليلاً، وفي ذلك الحين، وفي رمضان سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/١٩٩٨م بدأت أول فصول القصة([١]).

[١] _ في تلك الفترة وتحديداً في ١٩٩٥/١٢/١٥م، تحركت إريتريا واستولت على جزيرة "حنيش الكبرى" اليمنية، إلى أن أعيدت الجزيرة للسيادة اليمنية بقرار دولي في ١٩٩٨/١١/١م، وأحداث هذه القصة تجعلنا نعود بالذاكرة لتمحيص دوافع ذلك الاحتلال، زمانياً ومكانياً، خصوصاً وأنه جاء في قصة تميم بن أوس الداري التي وجد فيها الدجال في إحدى الجزر وأراد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم أن يبين للصحابة موضع هذه الجزيرة فقال: (ألا إنه في بحرِ الشام أو بحرِ اليمنِ. لا بل من قِبَلِ المشرقِ، ما هو. من قبلِ المشرقِ، ما هو. من قبلِ المشرقِ، ما هو" وأومأ بيده إلى المشرقِ. رواه مسلم من حديثَ فاطمَة بنت قيس.
كما أن هناك نصوصاً في بعض كتب أهل الكتاب تحكي أن الدجال يخرج من إحدى جزر اليمن، وتذكر تلك النصوص أن الجزيرة يطلق عليها جزيرة "الثعبان الكبير". وحنيش هي تصغير للحنش، والحنش هو الثعبان، و"حنيش الكبرى" أي جزيرة "الثعبان الكبير". وكان من وراء إريتريا اليهود الذين حرضوها على احتلال الجزيرة. فلعلهم عندما استولوا على الجزيرة كانوا يبحثون عن مخلصهم الدجال في تلك الفترة !
وأما الدوافع الزمانية لاحتلال الجزيرة فيؤيد ذلك ما ورد في حديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيه: (ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة إلا كان عند رأس المائة أمر، فإذا كان رأس مائة خرج الدجال) رواه أبي حاتم في تفسيره الحاوي ٢/٨٩.
كما ورد في التوراة أنه يخرج على رأس ألفٍ من السنوات، وإريتريا استولت على الجزيرة في أعوام رأس الألفين ميلادية.

في الساحل الغربي من دولة اليمن في مدينة الحديدة، تحديداً بجوار مكتب الخطوط الجوية اليمنية، كان أبو عبدالله يرتب لسفره مع شقيقته إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، مصطحباً كمية لا بأس بها من العسل اليمني كهدايا لأعمامه وخاله، وكان يبحث بين المسافرين عمن يحمل معه بعضاً من تلك الكمية على ذات الرحلة، بالاستفادة من الوزن المتاح لكل مسافر.

المحور الثاني للقصة:

وفي أثناء بحثه عمن يعينه على ذلك وقعت عينه على شخصٍ أسمر اللون يميل إلى الحمرة([٢])، ومشرباً بصفرة، كسحنة أهل الحبشة؛ يرتدي ثوباً وعلى رأسه شماغٌ (غترة حمراء) يسدله دوماً على جبينه حتى يلامس رأس أنفه، يرتدي نظارة سوداء كان كثيراً ما يضعها ليخفي بياض عينيه الذي في السواد، لأن عينيه فيها الظُّفَر البيضاء، وعندما يأتي ذاك الصفار من القطع البيضاء المصفرة على السواد ينقلها إلى اللون القريب من الزيتوني([٣])، يقول أنه يرى بإحداها ولا يرى بالأخرى([٤]).

مشرف الجبهة، مع حركة رأسه الدائرية التي يحرك بها رأسه دائماً([٥])، لحيته قائمة على ذقنه([٦]).

شعره جعدٌ([٧])، متباعد الفخذين([٨])، يظهر ذلك إذا مشى، يبلغ من الطول قرابة ١٧٠ إلى ١٨٠ سنتيمتراً تقريباً([٩]).

فلعلهم عبر فهمهم لبعض النبوءات، كانوا يتوقعون في تلك الفترة أن مخلصهم (الدجال) كان في ذلك المكان !
وما يزال الموضوع مثار نقاشٍ وبحث، إلا أن أحداث هذه القصة تجعلنا نستجلب تلك الشواهد لتكون حاضرة في ذهن القارئ، ويكون على علمٍ بها.

[٢] _ صفات عبدالقادر الشكلية، تدل على تقاربها مع الوصف النبوي للدجال، فقد ورد أنه: رجل آدم أي أسمر مشرب بحمرة. وشعره جعدٌ قطط، كأنه أغصان شجرة متشابكة، كأن شعره ضُرب بطين وماء، كأنه شعر الحبشة. وورد في الأحاديث هذه الصفات وأنه كما ورد في مسلم: (جفال الشعر) أي كثير الشعر، وعن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس ...) البخاري.

[٣] _ فعن أبي بن كعب أنَّ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلم ذكَر الدجَّالَ فقال (إحدى عينَيه كأنَّها زجاجةٌ خضراءُ) رواه أحمد.

[٤] _ قال أبو سعيدٍ قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلم: (وعينُهُ اليُمنَى عَوراءُ) رواه أحمد، وجاء عن كعب قال: (... مطموس العين اليمنى، ...) [الفتن، نـُعَيم بن حَمّاد].

[٥] _ كما في حديث عبدالله بن عباس، عنِ النَّبيِّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلَّم أنَّه ذكَر الدَّجَّالَ فقال: (كأنَّ رأسَه أَصَلَةٌ) رواه أحمد والطبراني، والأصلة هي حَيَّةٌ صَغيرة قَتّالَةٌ تحرك رأسها وتلويه.

[٦] _ أي أن لحيته قائمة على ذقنه فقط. جاء في حديث النواس بن سمعان الكلابي، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط لحيته قائمة كأنه شبيه العزى بن قطن، فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف) رواه الحاكم في المستدرك وقال فيه صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه

[٧] _ سئل النبي صلّى الله عليه وآله وسلم عن الدجالِ فقال: (... وكأنَّ شعرَ رأسِهِ أغصانُ شجرةٍ) من حديث ابن عباس الذي رواه أحمد.
وورد: (أن شعره حبك حبك حبك) ورددها ثلاثاً، مسند أبي يعلى والحبك: الشعر المتكسر من الجعودة.

[٨] _ وهو ما يسمى بالتفحج، فمن مواصفات عبدالقادر أن فيه تفحجاً أي تباعداً بين فخذيه وساقيه وقد ورد أن الدجال أفحج (والفَحَج: تَبَاعُدُ ما بين الفَخِذَين) النهاية في غريب الأثر (٧٨٩/٣).
قال صلّى الله عليه وآله وسلم: (إنِّي حدثتُكم عنِ الدجالِ حتى خشيتُ أن لا تعقِلُوا، إنَّ المسيحَ الدَّجالَ رجلٌ قصيرٌ، أفحجُ...) رواه أبو داود من رواية عبادة بن الصامت.
وكونه قصيراً يراعي فيه قدرة المسيح الدجال على التشكل، كما ورد في حديث ابن عمرَ الذي لقي فيه ابنَ صائدٍ في بعضِ طرقِ المدينةِ. فقال له قولاً أغضبَه. فانتفخ حتى ملأ السِّكَّةَ. فدخل ابنُ عمرَ على حفصةَ وقد بلَغها. فقالت له: رحمك اللهُ ! ما أردتَ من ابنِ صائدٍ؟ أما علمتَ أنَّ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلم قال: (إنما يخرجُ من غضبةٍ يغضبُها؟) رواه مسلم.
وقد جاء في الحديث أنه يذوب كذوبان الملح في الماء لمجرد رؤية عيسى عليه السلام، وربما يشير ذلك أيضاً إلى قدرته على التشكل، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: (... فينزلُ عيسى ابنُ مريمَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ. فأمَّهُمْ. فإذا رآهُ عدوُّ اللهِ، ذابَ كما يذوبُ الملحُ في الماءِ. فلوْ تركَهُ لانذابَ حتى يهلكَ. ولكنْ يقتلُهُ اللهُ بيدِهِ. فيريهِمْ دمَهُ في حربتِهِ) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٩] _ كيف مشى بين الناس وهو مربوط في جزيرة؟

يشبه في ملامحه[١٠] الرئيس الأمريكي السابق (أوباما).

بداية التعارف:

وكان منظره العام ملفتاً، فقصده أبو عبدالله وعرّفه بنفسه أنه إمام وخطيب جامع سعد بن أبي وقاص في الحديدة، وكان هذا الجامع ذائع الصيت لكثرة النزاع عليه بين التيار السلفي وتيار الإخوان المسلمين، إذ كان أبو عبدالله شوكة الميزان بين التيارين فقد ارتضاه الطرفان أن يكون خطيب المسجد.

كان استقبال الرجل لهذا التعريف بنفي معرفته المسجد، كمن لم يسمع عن المشكلة.

المهم **!** جاء دور الآخر ليعرفه بنفسه فأخبر أن اسمه (**عبدالقادر محمّد حيد باقاصي**)، ويحمل الجنسية اليمنية.

فطلب منه أبو عبدالله المساعدة حال السفر وحمل بعضِ العسل، فوافق على ذلك، ثم تبادلا أرقام الهاتف -وكانت يومها هي الهواتف المنزلية، إذ لا وجود للهواتف المحمولة إلا في أيدي المقتدرين على شرائها-، وقدم عبدالقادر رقم هاتف أحد جيرانه.

انفض اللقاء وتفرقا على أن يتواصلا عبر الهاتف ، حاول بعدها أبو عبدالله الاتصال على ذلك الرقم، وحال الرد على كل اتصال كان لا يسمع إلا صوتاً أشبه ما يكون بمسجلة يمشي الصوت فيها على نمط سريع، قريباً من تهارش القطط ، في آخر الأمر أجابت امرأة تتحدث العربية بلكنة حبشية.

وقالت: إنه لا علم لها بعبدالقادر ولا أحد من جيرانها يحمل هذا الاسم **!!**

حتى حان يوم الرحيل وذهب أبو عبدالله إلى المطار.

وقف في آخر الطابور مع شقيقته، وكان الطابور طويلاً وممتداً لكثرة المسافرين ، وفجأة ودون مقدمات **!** أقبل شخصٌ من داخل إدارة المطار، يرتدي الِمعْوَز الشعبي، وهو الإزار؛ من لباس أهل اليمن، إلا أن المسدس الذي كان يحمله يوحي بأنه من ضباط أمن المطار.

وقف على أبي عبدالله طالباً منه أن يتبعه مع أهله وأمتعة سفره؛ الأمر الذي أقلق أبا عبدالله وتوقع من ملابسات الموقف أنه يُدعى ليستجوب في قضية أمنية أو تحقيق في اشتباه ما.

لكن المفاجأة أن الأمر لم يَعدُ أن ختم جوازه وأعفاه من الوقوف في الطابور ، شعر أبو عبدالله بنوع من الخجل والإحراج من بقية المسافرين حيث أنه تجاوزهم وهم ينظرون إليه ، بادره الضابط بالسؤال: ألست أنت صلاح؟

فقال له أبو عبدالله: أنا أخو صلاح.

فقد جاء في الحديث أن الدجال (قد أكل الطعام ومشى في الأسواق) رواه الداني. وقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: (وإنه يومه هذا قد أكل الطّعام) رواه أبو يعلى والحاكم. لكنه لم يكن يسعى لإقامة مملكته وبناء دولته، وإنما كان يكتفي بالتحريش والإفساد. ولعل الجزيرة بقت له كالسكنى والمأوى يرتادها كلما أراد أن يستقرّ حيناً من الدهر !.

ومما يؤيد هذا الفهم تحذير نوح عليه السلام وهما في طرفي الزمان. وكذا الاستعاذة من شره في كل صلاة من قبل ألف وأربعمائة سنة، ما يدل على وجود فتنة الإغواء والتضليل، قبل الظهور الأكبر، وقراءة سورة الكهف كل جمعة التي تحصن قارئها أسبوعاً كاملاً من فتنته، دل على أن له فتنة قبل ظهوره. وفي الحديث: (وما من فتنة إلا وهي تصنع لفتنة المسيح الدجال) وفي رواية (تضع) مسند أحمد. وفيه دلالة عظيمة على ارتباط الفتن بفتنة الدجال.

[١٠] _ ويؤخذ في عينِ الاعتبار أن المسيح الدجال له قابلية للتغير، كما في صحيح مسلم: (أن ابن عمر لَقيَ ابن صائدٍ في بعضِ طرُقِ المدينة، فقال لهُ قولاً أَغضبهُ فانتفخَ حتى مَلأَ السِّكَّةَ) رواه مسلم.

فقال الضابط: إن صلاحاً أخاك درسني في معهد ٢٦ سبتمبر في الفترة المسائية وكان وكيلاً للمعهد.

شكره أبو عبدالله على معروفه وجميله.

لكن ، من ملابسات الموقف لم يطمئن أبو عبدالله إلى أن الأمر فقط يقف عند أبعاد محاولة تلميذٍ ردّ الجميل لمعلمه.

بل شعر أن في الأمر بُعداً مجهولاً، ولكنه لـمّا يهتدي إليه بعد ، بهذا التصرف الذي قام به الضابط كان أبو عبدالله أول من جلس في صالة المغادرة.

لكنه كان أمراً غير ذي جدوى ! والسبب .. أن عبدالقادر تأخر عن المجيء حتى انتهى المسافرون من ختم جوازاتهم، وبدأوا بصعود الطائرة.

ومازال أبو عبدالله وحمولة العسل معه في صالة المغادرة ينتظر عبدالقادر على أحرّ من الجمر.

وفي اللحظات الأخيرة، ظهر عبدالقادر وهو يرتدي ملابس الإحرام، داخلاً صالة المطار، وهو يتلفت بصورةٍ مريبةٍ وبخطواتٍ بطيئةٍ، ويقلب عينيه في وجوه الحاضرين ، قام إليه أبو عبدالله وبدأ يستقبله بحفاوة وترحيب، ويعاتبه على التأخر، وعبدالقادر لا يبدي اهتماماً !

أخذ أبو عبدالله جواز عبدالقادر، وقدمه للضابط -آنف الذكر- ليسرّع في ختمه ، وصعدا إلى الطائرة.

كان أبو عبدالله آخرَ من يصعد إلى الطائرة بعد أن كان أول من ختم جواز سفره ، وفي الطائرة كان ضابط آخر يفحص الجوازات ليتأكد من أداء كل المسافرين لخدمة التجنيد العسكري -الإجبارية ذلك الوقت-.

لم يكن أبو عبدالله قد أداها، بل وحصل على مهلةٍ لتأجيل أدائها سنة، فلما جاء الدور على جواز أبي عبدالله، تفاجأ بانتهاء تلك السنة.

فأخبره الضابط بأنه ممنوع من السفر لأنه لم يؤد خدمة التجنيد.

فدفع غرامة مالية كانت آخر ما لديه من المال، الذي كان يدخره لسيارة الأجرة للانتقال من مطار جدة.

أخذوا مقاعدهم وجلسوا في الطائرة؛ عبدالقادر على كرسي، وبجانبه أبو عبدالله، وبجانب أبي عبدالله شقيقته.

كان إفطارهم عند أذان المغرب في الطائرة، إذ أنها ليلة الخامس والعشرين من رمضان ، وصل الجميع إلى مطار جدة ، وافترق المسافرون إلى فرقتين؛ أصحاب العائلات في طابور ، ومن كان بدون عائلة في طابورٍ آخر ، وكذلك كان افتراق أبي عبدالله مع شقيقته عن عبدالقادر والتحاقهم بالطابورين.

وكان طابور عبدالقادر الأطول، ومن خلف فاصلٍ زجاجي لاحظ أبو عبدالله أن عبدالقادر كان في آخر الطابور، وأنه يتجاذب أطراف الحديث مع أحد الضباط السعوديين بشكلٍ أخاذ، وأسلوبٍ ساحر، وكان وضوح المشهد ملفتاً، واستغرق عبدالقادر في الحديث مع الضابط السعودي قرابة النصف الساعة.

كان عبدالقادر من بين كل المسافرين هو الوحيد الذي انفتح بالحديث مع الضباط السعوديين مع كونه -كما زعم- من إريتريا، وهم أقل انسجاماً مع السعوديين من اليمنيين ، فكان انسجامه معهم أمراً يثير الدهشة ؛ لم يستطع أبو عبدالله إخفاء اندهاشه بحسن استمالة عبدالقادر أولئك الضباط؛ فسأله عن سرّ قدراته في جذب الناس إلى حديثه، فأجابه عبدالقادر: بأن تلك عادته، وطبيعته، تأتيه دون تكلف ولا استدعاء.

في المطار انتظر أبو عبدالله مع عبدالقادر وصول سيارات الأقارب الذين تواعد معهم أبو عبدالله لاستقبالهم.

وهم صلاح وعلي؛ الأخوان الشقيقان لأبي عبدالله، وكذا صهره أحمد هادي، وابن عمته واسمه صلاح أيضاً على اسم أخيه.

ولم يشعر أنهم كانوا في انتظاره في الضفة الأخرى من المطار ، ولما طال الانتظار بادر عبدالقادر بالسؤال عن سرّ كل هذا الانتظار.

فأجابه أبو عبدالله بأنه لم يبق لديه أجرة للسيارة ، فقد نفد كل ما لديه من المال بالعملة السعودية ، فتكفل عبدالقادر بدفع الأجرة، واشترط أبو عبدالله أن تكون على سبيل السلفة والدين ، فلما وصلوا إلى بيت عمة أبي عبدالله تفاجأوا بأن الأقارب ما زالوا في المطار لاستقبالهم ! ثم ما لبثوا غير بعيد حتى وصل الجميع، وباتوا في جدة قبل الذهاب صباحاً إلى مكة لأداء العمرة.

عبدالقادر إماماً في الصلاة وطائفاً بالبيت

في أثناء تجاذب الحديث مع عبدالقادر زعم أنه مفتون بقراءة إمام الحرم المكي الشيخ سعود الشريم، وأنه يحسن ويجيد تقليد صوته وقراءته، لكنه عندما تقدم وصلّى إماماً، تفاجأ أبو عبدالله بقراءة وصوت عبدالقادر، إذ لا رائحة لقراءة الشريم، ولا لطعمها، ولا للونها.

فأسرّها أبو عبدالله في نفسه ولم يبدها لهم.

(واضعاً يديه على منكبي رجل):

ثم ذهب الجميع إلى مكة([11]) لأداء مناسك العمرة ، وفي حالة طواف أبي عبدالله مع أخته وعبدالقادر، كان عبدالقادر عن يسار أبي عبدالله وأخته عن يمينه.

وفي مرورهم بالحجر الأسود، ونظراً لشدة الزحام عنده؛ كان أبو عبدالله يضع أخته أمامه، ويحميها بذراعيه من زحام المعتمرين والطائفين، فيما يتبعه عبدالقادر ويضع يديه على منكبي أبي عبدالله([12]).

---

[11] _ قد يظهر للقارئ هنا شيءٌ من التعارض في الفهم، فإذا كان بالفعل عبدالقادر هو الدجال؛ كيف له أن يدخل مكة المكرمة، خصوصاً وأن هناك أحاديث تصف أنه لن يدخل مكة والمدينة؟ منها ما رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال: (ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق).
ولإيضاح ذلك فإن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال: (بينما أنا نائم أطوف بالكعبة... ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنى كأن عينه عنبة طافية قلت من هذا قالوا هذا الدجال) متفق عليه.
قال ابن حجر: (وفيه دلالة على أن قوله صلّى الله عليه وآله وسلم أن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة أي في زمن خروجه) فتح الباري (٤٨٩/٦)
وقال في موضع آخر إن المنع من دخول الدجال مكة أو المدينة (المنع إنما هو حيث يخرج) فتح الباري (٩٩/١٣).
وقال فيما إذا دخل الدجال مكة (فلا يلزم أن يدخلها بعد ذلك إذا خرج في آخر الزمان) فتح الباري (٣٥٨/١٠).

[12] _ ولعلها الحادثة التي تحققت فيها رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في المنام، ففي حديث عبدالله بن عمر رضِي الله عنهما في الصحيحين، أن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم قال: (إن اللهَ ليس بأعورَ، ألا إن المسيحَ الدجالَ أعورُ العينِ اليمنى، كأن عينَه عنبةٌ طافيةٌ، وأُراني الليلةَ عند الكعبةِ في المنام، فإذا رجلٌ آدمُ، كأحسنِ ما يُرى من أُدْمِ الرجالِ تَضربُ لِمَّتُه بين مَنكِبيه، رَجِلُ الشعرِ، يَقطُرُ رأسُه ماءً، واضعاً يديه على مَنكِبي رجلَين وهو يطوفُ بالبيتِ، فَقلتُ: من هذا؟ فَقالوا: هذا المَسيحُ بنُ مريمَ، ثم رأيتُ رجلاً وراءَه جعداً قطِطاً، أعورَ العينِ اليمنى، كأشبَهِ من رأيتُ بابن قَطَنٍ، واضعاً يديه على مَنكَبي رجلٍ يطوفُ بالبيتِ، فقلتُ: من هذا؟ قالوا: المسيحُ الدجالُ) واللفظ للبخاري، من حديث عبدالله بن عمر.
زاد نُعيم: (أُريت عند الكعبة مما يلي المقام) [الفتن، نـُعَيم بن حَمّاد].

فإذا جاوزوا الحجر الأسود عادوا إلى الترتيب الأول، أخت أبي عبدالله عن يمينه وعبدالقادر عن شماله.

وهو إجراء اعتيادي في كظيظ زحمة الحجيج؛ أن يكون نوعُ تماسكٍ بين كل رفقةٍ من المعتمرين.

استمرّ هذا الترتيب حتى انتهوا من الطواف.

عبدالقادر يبحث عن إمامِ مسجدٍ أعور:

بعد قضاء مناسك العمرة، كان المبيت في بيت الأخ الشقيق لأبي عبدالله ؛ صلاح. وفي اليوم الثاني كان الإفطار مساءً عند كبير عائلة أبي عبدالله؛ علي مهدي.

ولا ننسى أننا نعيش أجواء رمضان.

بعد تناول العشاء ؛ زعم عبدالقادر أن له رجلاً من أقاربه -زوج عمته أو قال زوج خالته-، وأنه أعور العين، كان غادر إرتيريا منذ خمسين سنة، نعم خمسين سنة ! ويعمل إماماً لأحد مساجد مكة في منطقة العتيبية.

تجاوز أبو عبدالله صلاة الترويح بنيّة أن يصلي عنها التهجد، إذ كان يومها على مذهب الشيخ الألباني من تحديد عدد ركعات القيام.

فذهبوا وتأخر بهم البحث حتى فاتتهم صلاة التهجد أيضاً. فتسبب عبدالقادر في فوات صلاة القيام في ليلة فضيلة.

تمّ البحث في العتيبية وسؤال كل من صادفوه ، حتى جاء الدور على رجل طاعن في السن قد جاوز السبعين، عرف في ما بعد أن اسمه سالم با وزير من أصول حضرمية، كان لديه محل بيع أدوات كهربائية.

فلما سئل عن معرفته بإمام حبشي أعور العين؛ أخبرهم أن عهده في العتيبية مذ كانت بدايات نشأتها، ويعرف تفاصيل كثيرة عن العتيبية ويعرفها بيتاً بيتاً، ولم يسمع بإمام لمسجد فيها بهذه المواصفات[١٣].

فـ"قطعت جهيزة قول كل خطيب".

فأخذ عبدالقادر يتجاذب معه أطراف الحديث بأسلوب عجيبٍ ومريب في آن واحد، واستمر ذلك ما يقارب الساعة، ثم انصرفوا عنه.

وفي أحد أسواق مكة المكتظ بالزحام رجالاً ونساءً؛ لم يشعر أبو عبدالله وعبدالقادر إلا بأجهزة الأمن تقبض على أيديهم، وتطالبهم بالوثائق التي تثبت دخولهم السعودية بطريقة رسمية وسليمة.

للأسف لم تكن أوراق إثبات الهوية في حوزة أبي عبدالله حينها ، فقُبض عليه، وجُرّ إلى السيارة بصورة مهينة.

[١٣] هل كان يبحث عبدالقادر عن ظلٍ يماثله في مكة؟ ليجد له موطئ قدم؟!
إمام؟! .. أعور؟! .. إرتيري؟!
هل له علاقة بالسحر؟! كما هي عادة السحرة في ربط حضورهم بجاذب لهم مماثل.
أم كان يريد أن يشغل أبا عبدالله عن قيام الليل، ويوطّأ له بهذا التلميح إلى موضوع المسيح الدجال؟!

بينما عبدالقادر أخرج أوراق إثبات هويته، فترك ؛ ثم ذهب عبدالقادر إلى موضع منـزل صلاح الذي استضيف فيه، وأحضر أوراق إثبات هوية أبي عبدالله. وعندما حضر إلى المخفر ليقدم الجواز قيل له: إن اليوم هو الخميس، وهو يوم إجازة، والضابط المسؤول مجاز، ولن نتمكن من إخراج صاحبك.

وأثناء حديثه مع رجال الأمن في مخفر الشرطة قدر الله أن يحضر الضابط المسؤول، فقدم له الجواز وشرح له أن مجيئنا لأداء العمرة.

فرد عليه الضابط: نحن في عطلة رسمية، إلا أنه من حسن حظكم أني نسيت أوراقاً في أدراج مكتبي عدت لأخذها. وكالعادة سرق لبّ الضابط بكلامه وسحر حديثه !

تم إخلاء سبيل أبي عبدالله.

خارج قسم الشرطة قال أبو عبدالله لعبدالقادر: لست أدري من أيهما أتعجب؟! من اهتدائك للبيت وهو أول يوم لك هنا -فالعهد قريب- والبيت في مكان بعيد ووعر، ولا يتأتى الاهتداء إليه بسهولة؟! أم من قدرتك على جذب الآخرين بالحديث معهم من الوهلة الأولى ولفترات طويلة؟!

فقال: لا تفكر كثيراً في هذه الأمور، فهذه طبيعتي ولدي ذاكرة وحافظة قويتان، وسترى أشياءً تذهلك.

عجيب !!

لقد تكتلت نكت كثيرة في قلب أبي عبدالله وعلامات استفهام عن طبيعة هذا الرجل ، وبعد تلك الرحلة الحافلة رضِي الجميع من الغنيمة بالإياب فلا صلاة تراويح ولا تهجد ، رجع الجميع إلى منزل صلاح الأخ الشقيق لأبي عبدالله ، وباتوا ليستقبلوا يوماً جديداً.

ترك عبدالقادر والعودة إلى اليمن:

كان بحوزة عبدالقادر سوار من أسورة الذهب[١٤]، وكان يرغب في بيعه ليستهلك قيمته في الذهاب إلى المدينة المنورة.

وكان حريصاً متلهفاً للذهاب إليها ، لكن في الوقت ذاته كان أبو عبدالله قد انشرح صدراً بالرجوع إلى اليمن.

وخاصة لِما تعرض له من إهاناتٍ ليلة البارحة ؛ حاول إخوة أبي عبدالله مع عبدالقادر مراجعته ليعدل عن قراره في سرعة عودته إلى اليمن لكنه رفض إلا المغادرة.

وأوصى أبو عبدالله أخاه صلاح بعبدالقادر خيراً، وانطلق إلى اليمن.

وكانت عودته مثار استغرابٍ لدى عائلته في اليمن، إذ لم يستغرق الذهاب والإياب سوى ثلاثة أيام.

من الجدير بالذكر أن عبدالقادر لم يذهب بعد ذلك إلى المدينة المنورة، كما أخبر هو عن نفسه بعد ذلك !

عبدالقادر في اليمن من جديد:

[١٤] _ كأن اعتماده على الذهب كمالٍ يتموله؛ إشارة إلى ما رسخ في صدره عبر القرون والأجيال من أن الذهب هو العملة التي تحمل قيمتها في ذاتها، فلم يكن يلتفت إلى غيرها.

في شهر الله المحرم أعلنت شركة طيران اليمنية لركابها الذين سافروا على متن رحلاتها لأداء العمرة ثم عادوا إلى الأراضي اليمنية براً؛ أن بإمكانهم استعادة قيمة تذكرة العودة ، وكانت قيمة التذكرة ٥٤،٠٠٠ ريـال تقريباً، وكان لدى أبي عبدالله تذكرتان، تذكرته هو وتذكرة شقيقته التي استقرت في مكة المكرمة ولم ترجع معه ، وصل أبو عبدالله إلى مكتب اليمنية لاسترجاع المبلغ.

ويا للمفاجأة !

رأى عبدالقادر خارج المكتب يتحدث مع شخصٍ آخر عليه سحنة حبشية، فشعر وقتها بالحياء منه لتركه إياه بمكة في رمضان، فسلم عليه واعتذر منه لذلك، إذ كان خروجه من مكة مُغضباً بسبب القبض عليه لعدم حمله جواز سفره.

استسهل عبدالقادر الأمر وهوّن على أبي عبدالله بأنه أمر طبيعي ولا إشكال فيه ، ثم سأله عبدالقادر عن سبب حضوره إلى مكتب اليمنية، فشرح له أنه يرغب في استعادة نصف قيمة التذاكر.

وأما عبدالقادر فأفاد أن سر مجيئه وسبب حضوره هو أخذ صورة جوازه التي يحتفظ بها أرشيف مكتب اليمنية، معللاً ذلك بأنه لا يرغب أن يبقي له أثراً في مكان كان فيه، ومرّ عليه **!!** وأن تلك سجيته وعادته في كل مكان يمرّ به([١٥]).

هجم على خاطر أبي عبدالله ووقع في روعه أن هذا الذي أمامه هو أحد أعضاء جماعة المجاهدين في الصومال، وأن هذا التصرف لا يعدو أن يكون أحد الطرق الأمنية التي تقطع كل خيط قد يتعلق به من يريد الوصول إلى شيء من بياناتهم.

لذا فهو حريصٌ على معلوماته للبقاء في وضع آمن ، وبمجرد أن طلب عبدالقادر المساعدة في ذلك لم يتردد أبو عبدالله.

فدخلا المكتب وطلب صورة جوازه متعللاً بضياع الجواز الخاص به، فبحث المختص عن صورة الجواز، فلما أعياه البحث طلب من عبدالقادر وأبي عبدالله أن يتوليا عملية البحث في الأرشيف، ولما وجد عبدالقادر صورة الجواز كانت الكهرباء قد انطفأت، فسمح المختص بتصويرها خارج المكتب، وبهذا حصل عبدالقادر على بغيته وأخذ صورة الجواز، ولم يرجعها.

بيت عبدالقادر:

تعرف أبو عبدالله على موضع سكن عبدالقادر، وأنه في حارة البيضاء، أحد أحياء مدينة الحديدة.

بعدها مُدت جسور التواصل وأخذا يتبادلان الزيارة، بل والجلوس فترات طويلة، تبدأ أحياناً من الصباح الباكر وتنتهي بالعشاء الآخر.

لا عجب **!** فعبدالقادر له أسلوب ساحر جذاب في الحديث.

ومن الملفت أن أبا عبدالله كلما زار عبدالقادر في بيته لاحظ هدوءاً قاتلاً، وسكوناً مريباً.

ولم تكن تساكنه في بيته غير أمه([١٦]) وكان أحياناً يرى انعكاس ظلها.

---

[١٥] ـ شدة الغموض هذه، وحرصه على عدم ترك أي أثر في أي مكان، وتغطيته لوجهه، كلها أمور تدل على أنه شخصٌ غريب، لا يعدو أن يكون الدجال؛ الرجل المعمَّر.

ومن خلال تردداه على بيت عبدالقادر تكونت لديه صورة أنها قصيرة، ضخمة الأثداء بشكل ملفت([17]).

ما الذي يخفيه عبدالقادر؟!:

وكان مما أخبر به عبدالقادر أنه لما بقي في مكة المكرمة حضر درساً للشيخ محمّد بن صالح العثيمين، وأثناء إلقائه الدرس، كان يدقق ويتفرس في وجه عبدالقادر.

قال عبدالقادر: كاد يفضحني، ثم إن عبدالقادر توارى وانصرف عن الحلقة.

تعجب أبو عبدالله من خشية عبدالقادر من تفرس الشيخ العثيمين -رحمه الله- فيه ! وتساءل في نفسه..

أي فضيحة يخفيها عبدالقادر حتى خشي من الشيخ محمّد بن صالح العثيمين أن يعرفها بمجرد نظرات فاحصات؟! ([18])

ولكنه لما كان لا يجد تفسيراً لهذا؛ يحمله على أنه من جنس أمنيات المجاهدين.

لقد كان عبدالقادر غريب، الأطوار فإذا مشى في الطريق يكشف عن وجهه. وفجأة يتلثم. ثم يكشف عن وجهه.. وهكذا !

هذا وكانت الجلسات أظهرت أن أصول عبدالقادر من شمال السودان جنوب مصر من قبائل يقال لها قوص([19]) -حد قوله-، ثم أنه نزل إريتريا، ثم التحق بالشباب المجاهد في الصومال وتولى أمانة الصندوق وتسبب في شق صفهم -قال كل ذلك والعهدة عليه-.

وعلل فعله بـ"عذر أقبح من ذنب" أن المجاهدين في الصومال يريدون الجهاد، ولا يريدون إقامة مشروع الخلافة، ومن الجدير بالذكر أن غالب الجلسات كانت تتمحور حول الحديث عن إرجاع الخلافة !.

رؤيا عبدالقادر:

وكان عبدالقادر يعلل نفسه برؤيا منامية زعم أنها تتكرر عليه منذ صغره، مضمونها: أنه خرج من مكان ما بجيش وعليه خاتم في يده، ومعه عصىً سوداء من نوع من شجر في إرتيريا([20]). قال: فأغزو العالم

---

[16] _ عن كعب قال: الدجال بشر ولدته امرأة. [الفتن، نـُعَيم بنِ حَمّاد].
فهل المسيح الدجال يناظر المسيح ابن مريم حيث أن كلاً منهما ولدته امرأة؟!
ونفخ جبريل عليه السلام في مريم بعد أن تمثل لها بشراً سوياً.
فهل كان أبو المسيح الدجال شيطاناً تمثل بشراً فقضى حاجته حال كونه إنسياً؟! ولذلك لا يقتل المسيحَ إلا المسيح ! وفيه مبحث ليس المقام موضع بسطه.

[17] _ أورد الإمام أحمد والترمذي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قوله: (يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه، أبوه طُوَال، ضرب اللحم، كأن أنفه منقار، وأمه امرأة فرضاخية طويلة الثديين).
فرضاخية: ضخمة عظيمة، ذكره القاضي. وفي القاموس: وامرأة فرضاخة أو فرضاخية عظيمة الثديين.

[18] _ وكذلك نتساءل نحن: أي فضيحة يخفيها هذا الرجل حتى يخشى أن يعرفها ابن عثيمين بمجرد تلك النظرات؟!، إلا أن يكون هذا الرجل هو الدجال فعلاً، وساقته الأقدار ليقف أمام هذا الشيخ والذي يعود نسبه إلى بني تميم، الذين (هم أَشَدُّ أُمَّتي على الدَّجَّالِ) كما قال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري.

[19] _ ومنها اكتسب لقبه (باقاصي) الذي صرح به في أول القصة، جاء عن كعب قال: مولد الدجال بقرية من قرى مصر يقال لها قوص وهي بسرى. [الفتن، نـُعَيم بن حَمّاد ١٤٨٨].
وقوص: منطقة في الجنوب المصري على الحدود السودانية عند وادي حلفى. و"با" هنا زائدة، يستعملها الحضارم في اليمن، والكنعانيون في مصر، وكأن له علاقةً بالكنعانيين، والله أعلم.

وأستولي عليه كله إلا السعودية -بهذا اللفظ-، أحيط عليها بجنودي والضباط والأطباء، فأحاول دخولها فلا أستطيع، ثم أشير إليهم بالرجوع فيرجعون.

وواقعاً: كان معه خاتم من فضة مكتوب عليه (أبو البراء العامري([٢١])).

فكان عبدالقادر ينظر إلى خاتمه ويقول وعلَيّ خاتم غير هذا الخاتم، وكنيتي غير هذه الكنية([٢٢]).

جرى خاطر في نفس أبي عبدالله من هذه الرؤيا ! إذا كان عبدالقادر سيحكم العالم كله.

وستخضع له الدول العظمى ! كيف ستستعصي عليه دولة كالسعودية؟! هل السعودية رمز للحرمين؟!

وهل هذا الرجل الذي يحكم العالم؛ هو المسيح الدجال، وهو لا يستطيع أن يُخضع الحرمين لسلطته ولا لفتنته؟!

أخذ أبو عبدالله ينظر في جبين عبدالقادر؛ ليرى هل كتبت عبارة (كافر)؟! فيتأكد من أن الذي أمامه هو المسيح الدجال؟!

وقعت عين أبي عبدالله على حرف (الكاف) مكتوبة على جبهة عبدالقادر؛ فأغمض عينيه بسرعة وخاف أن يكون من أمامه هو هو المسيح الدجال.

لم يستطع إكمال القراءة، فكان يغض نظره ويصرف بصره من غير أن يكمل بقية أحرف الكلمة.

لأن الثقافة السائدة بين طلبة العلم أن الدجال لا يدخل مكة حتى قبل ظهوره وتملكه، وإنما يظهر في المشرق، وما إلى ذلك من أحداث.

لكن الرؤيا يُشمّ منها رائحة الشرّ، فكان أبو عبدالله ينصح عبدالقادر أن يقلل من أهمية الرؤيا وينبهه ألا يعول عليها كثيراً.

فمرّة كرر حديثه حول تلك الرؤيا، وكعادته نهاه عن التعلق بتلك الرؤيا والركض وراء السراب.

فجن جنون عبدالقادر وثار غضبه وأخذ يصرخ ويصيح ويضرب على متكئٍ كان أمامه، ويجتهد في الحلف أيماناً مغلظة على صحة رؤياه وأنها ستتحقق، متوعداً أبا عبدالله، أنه سيرى ذلك.

بل ويكررها لأبي عبدالله: وسترى ذلك، وسترى.

---

[٢٠] عن كعب قال: يأتيهم الخبر بعد فتحها -يعني القسطنطينية- فيرفضون ما في أيديهم، فيخرجون فيجدوه باطلاً، لا يخرج الدجال إلا بعدها، تتعلق به حية إلى جانب البحر، ثم يخرج. [الفتن، نـُعَيم بن حَمّاد١٤٨٣]. وعنه قال: تتعلق بالدجال حية إلى جانب ساحل البحر ثم يخرج. [الفتن، نـُعَيم بن حَمّاد١٤٨٤].
هل يشير عبدالقادر إلى تلك الحية بالعصى؟! استناداً إلى الحية؛ عصى موسى التي التقفت ما يأفكون.
ويؤكد تلك الإشارة أنها من شجرٍ إرتيري؟! استناداً إلى قرب إرتيريا من مصر التي دارت فيها أحداث قصة موسى مع فرعون؟! لا يُستبعد !

[٢١] البراء: ويُفهم منها المباعدة، والنفرة عن كل من يقترب منه كحال السامري، الذي بصُر بما لم يَبْصر به غيره -إذ رأى الملاك-، وقبض قبضةً من أثر الرسول -الملاك- لا يحل له قبضها، فعوقب بجنس جنايته، حيث قال الله له على لسان موسى عليه السلام: (إن لك في الحياة أن تقول لا مساس)، أي يتخوف من الناس ويلتمس منهم ألا يقربوه ولا يمسوه بسوء ويصبح الخوف من الناس هوساً لديه.
وهذا ما لوحظ عليه في جوانب القصة ابتداءً من ظهوره في المطار !
العامري: وكأنه إشارة إلى أنه أحد المعمرين، الذين طالت أعمارهم طولاً يتجاوز الحد الطبيعي والمعروف. وكأن حالة لا مساس تزول شيئاً فشيئاً عنه حتى تزول تماماً في أول ظهور فتنته الكبرى.

[٢٢] وقد روى الحافظ أحمد بن علي الأبّار، في تاريخه، عن الشعبي، أنه قال: كنية الدجالِ؛ أبو يوسف.
وقد تكون إحدى الكنى التي يتكنى بها، وأبو يوسف هو يعقوب، ويعقوب هو إسرائيل، فلعله يريد أن يشير إلى تمثيله وتجسيده إسرائيل في شخص، كما جُسِّدَ في كيان غاصب لفلسطين.

وقال: ولقد عرضت رؤياي على مستوى دكتور -بهذا اللفظ، دكتور[٢٣]- وقال لي: إن رؤياك ستتحقق.

ويقول: وأنا أعمل لهذا الأمر، وقد ألفت دستوراً يتضمن قوانين الدولة المركزية واللامركزية.

وهو دستور استقيته من الكتاب والسنة، والقوانين الغربية والشرقية.

فقال له أبو عبدالله: هذا شرك إذا شرّعت.

فاعتذر أنه لن يخرج عن الكتاب والسنة؛ إلا في ما لم يرد فيه من الشرع نص؛ يقصد ما يطلق عليه الفقهاء بالمصالح المرسلة كأنظمة المرور، والدفاع المدني.

قال: وقد أعددت كلاباً[٢٤] بوليسية تنهش الكفرة.

فقال له أبو عبدالله: لا إكراه في الدين، فتلجلج عبدالقادر قليلاً، ثم قال: إذن تنهش الظلمة.

قال: وقد تعلمت على كثير من الألعاب القتالية[٢٥].

وتعلمت جميع لغات أفريقيا، وأوشك على الانتهاء من لغات جنوب آسيا[٢٦].

وكان يقلد بعض اللهجات التهامية. ويقول أن معه علوماً كثيرة ومطالعاتٍ غزيرة، قد أعطاه الله إياها.

رؤيا أبي عبدالله:

ثم جاء دور عبدالقادر لسؤال أبي عبدالله عن أهمّ رؤيا شغلت باله.

فذكر له أبو عبدالله أحبّ رؤيا إليه، وأعزها عليه، خاصة أنه رآها بعد ضائقة؛ كانت على إثر خلاف شديد مع جماعات السلفيين والإخوان حول المنهج. إذ كان يتفرد بفهم يخالف ما عليه الجماعتان، حتى وصل بهم الحال إلى اتهام أبي عبدالله والتحذير منه.

كانت الرؤيا في مكة المكرمة حيث ذهب أبو عبدالله مغاضباً وخرج يمشي على قدميه من الحفائر إلى جبل النور حيث مسجده الذي كان فيه وكانت المسافة بعيدة جداً بالأقدام، وحينما وصل المسجد دخله، وأخذ قسطاً من الراحة فنام نومة القيلولة.

قال أبو عبدالله: فرأيت في المنام كأني جالس بجوار النبي صلّى الله عليه وآله وسلم خدي على خده وبيننا سيف يقبله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من جهة وأقبله من الجهة الأخرى.

---

[٢٣] ـ ومن الجدير ذكره أن أصل هذه الكلمة مأخوذ من كلمة (الدكتوراه)، والتي يقال أنها كلمة لاتينية تتكون من مقطعين: (دك) وتعني مدرس أو معلم خادم، (توراه) نسبة إلى التوراة، لتعني (خادم التوراة). فلعله كان يستضيء بعلوم اليهود في تعبير الرؤى، والله أعلم. واليهودية ديانته فقد ورد أن يهودياً جاء يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن الدجال، فقال له: (... وإنه على دينكم معشر اليهود) التذكرة للقرطبي.

[٢٤] ـ هل خص الكلاب دون غيرها لأن الملائكة لا تحضر أماكن فيها كلاب وليكون أعون للدجال في حضور الشياطين؟!
ومن الموافقات ما ورد عن كعب الأحبار: كانَ يُقالُ: كلبُ السَّاعةِ الدجال. والكلب لا تجانسه إلا الكلاب لشدة نجاسته، ومنهم كلاب أهل النارِ الخوارج. [الفتن، نـُعَيم بن حَمّاد]. روى ابن ماجة، وأحمد عن ابنِ أَبِي أَوْفى، قالَ: قال رسولُ اللَّه صلّى الله عليه وآله وسلم: (الخَوَارِجُ كِلابُ النَّارِ).
والدليل على أنهم أتباع الدجال قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: (يَخرُجُ قَومٌ مِن قِبَلِ الـمَشرِقِ، يَقرَءُونَ القرآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، كلما قُطِعَ قَرنٌ نشأ قَرنٌ، حتى يَخرُجَ في بَقيَّتِهِمُ الدجّال) رواه أحمد.

[٢٥] ـ ولعله يشير إلى الرياضات التي تُعنى باستجماع قوة الروح والعقل، مثل اليوغا وغيرها.

[٢٦] ـ إجادة عبدالقادر لجلّ اللغات، فيها إشارة إلى أنه الدجال؛ ففي الحديث أن الدجال (معه من كل لسان) رواه أحمد.

ثم قال لي: قم، فلما استويت، أَشهَر السيف، وناولني إياه مسلولاً، ورأيت أنني داخل أسوار بيت المقدس وقد أحيط بسور والمسلمون داخل هذا السور -وتلك الرؤيا قبل بناء السور العازل بسنين- وإذا بالسور ينفتح ويخرج منه فرسان على خيول يدخلون علينا -ووقر في نفسي أنه الدجال وأصحابه-.

فقال لي رسول الله: قاتل هؤلاء.

فقلت له: أما هذا فلا طاقة لي به، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم السيف من يدي ومضى إليهم.

فقلت في نفسي: إن لم أستطع أن أقاتل وحدي، فلا أتخلف عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم.

انتهت الرؤيا([٢٧]).

استمع عبدالقادر إلى رؤيا أبي عبدالله بعناية ثم سكت.

الملاحظ؛ أن عبدالقادر كان يرفض أن يقيم الخلافة أحد غيره، ورأى أنه لا يعول على أحد غيره في إقامة الخلافة، وكلما جاءت سيرة الإمام المهدي تضجر وتبرم.

محاولة استقطاب:

عرض عبدالقادر على أبي عبدالله أن يعمل معه في إقامة مشروع خلافته، وبناء مملكته، وأغراه ومنّاه بإعطائه سيارة وهاتفاً محمولاً.

لم يكن يبدو على عبدالقادر مظاهر الثراء فتعجب أبو عبدالله من موضوع الهاتف المحمول إذ يومها لم يكن يمتلك تلك الهواتف إلا المقتدرين.

لكن محاولات الإغراء بالمال باءت بالفشل واصطدمت بصخرة زهد أبي عبدالله.

عبدالقادر والإخوان المسلمين:

ومن الملفت؛ أن عبدالقادر كان يشيد بالترابي وحركته الانقلابية ويصفها بالناجحة.

وقال: إن الترابي كان يرنو ويتشوف لجمع أفريقيا كلها، بل أن الترابي في أحد مؤتمراته أخذ خريطة السودان ومزقها، ثم أخرج خريطة أفريقيا، وصرخ قائلاً: أريد أن أضم أفريقيا كاملة.

ثم علق عبدالقادر على صنع الترابي؛ بقوله: أما أنا فلا أريد خريطة أفريقيا فقط، بل أريد أن أجمع العالم كاملاً([٢٨]).

---

[٢٧] _ جدير بالذكر أن أبا عبدالله بعد هذه القصة بسنين وتقريباً على مشارف العام ٢٠٠٨م، وقبل بدء ملاحقة السلطات السعودية له، سمع عن معبر حاذق في تأويل الرؤى، فأراد أن يستأنس بتعبيره لتلك الرؤيا، فلما قصها عليه في مكالمة هاتفية؛ بادره بالسؤال عن اسمه إن كان يوافق اسم الرسول، فأجابه بالإثبات، وعن اسم والده إن كان يبتدئ بالتعبيد فأجابه بالإثبات، فسأله إن كان من آل البيت، فأجابه بالإثبات، فسأله إن كانت له ذرية، فأجابه بالإثبات، فسأله هل هم أربعة بين ذكور وإناث، فأجابه بالإثبات، فسأله إن كان قد تعرض لسحر عظيم وقوي جداً، فأجابه بالإثبات، فسأله إن كان الذي سحره رجلٌ أعور، فأجابه بالإثبات، فقال له بنبرة متأسفٍ: أصلحك الله وهداك. وأوضح له أن الذي سحره هو الدجال وأن سبب سحره، هو إخبار أبي عبدالله لعبدالقادر برؤياه، وأخبره أن هذه الرؤيا ستكون سبب قتله، ولعله يقصد أن أثر السحر سيكون سبباً في موت أبي عبدالله، كما كان أثرُ سمٍّ اليهودية سبباً في موت النبي صلّى الله عليه وآله وسلم. ثم سأله: هل تعلم من أنت؟ ثم أردف قائلاً أنت الشخصية الكبيرة التي تأتي في آخر الزمان.
وطلب المعبر أن يلتقيه شخصياً، ثم أنهى المكالمة على أمل اللقاء في القريب العاجل، لكن حالت الظروف وأُلقي القبض على المعبر من قبل السلطات السعودية لملابسات أخرى.

لكنه كان كثيراً ما يشكو من الإخوان المسلمين وأنهم أتعبوه، حتى قال: أنهم داسوه بأقدامهم وعصروه، وأخذ يدلك الأرض بقدمه ذهاباً وإياباً([٢٩]).

يطوف الأرض:

ومما جاء في حديثه وفاح من كلامه وعرفه أبو عبدالله من لحن قوله: أنه يستطيع الذهاب إلى أي بلدٍ وبكل سهولة.

وقال لأبي عبدالله: أنت ما زلت طفلاً([٣٠]) لا تعلم شيئاً، أنا نزلت كل أرض بقدميّ هاتين.

قال ذلك وهو يضرب بيده على فخذه بقوة.

يُفهم من لحن الحديث وسياق الكلام وجو الخطاب أن عبدالقادر كأنه يشير إلى أنه رجل معمر له تاريخ، وله نزول في كل البلدان، وهذا أمرٌ آخر يعضد أنه الدجال على رأي من قالوا أنه رجل معمَّر.

وكأنه يشير إلى أنه رجل معمَّر([٣١]) له تاريخ، وله نزول في كل البلدان، وكان يتفاخر بذهابه إلى مكة، وقال: يا أبا عبدالله أنت تعلم أنني ذهبت إلى الحرم ولبست الثوب القصير إلى هنا -مشيراً وضارباً بيده نصفَ ساقه-، ولم يستطع أن يردني أحد وأنت تعلم.

---

[٢٨] في هذا إشارة إلى همته في إقامة دولته ومملكته، ويتورك على رؤيته المنامية، وطمعه أن يملك الأرض "كل الأرض"، يدل على أنه رجل غير عادي، بل قد يكون حقاً هو الدجال.

[٢٩] من الملاحظ أن أبا عبدالله ليس له انتماء عضوي لحركة الإخوان المسلمين، بل أخرجوه من وظيفته بسبب رفضه المشاركة في التصويت والدعوة للانتخابات.
وكذا خالف السلفيين في قضايا منهجية بسبب رؤيته تلك الرؤيا المبشرة بفتح بيت المقدس؛ واختلافه مع صاحب رؤيا الجزيرة في ماهية الخضر عليه السلام، ثم بغيهم عليه بالتبليغ عنه والتحذير منه.
فهو ليس سلفياً بالمعنى الجامي وليس إخوانياً. ويشهد لهذا أنه كان شوكة الميزان في مسجد سعد بن أبي وقاص فقد ارتضاه الطرفان إماماً وخطيباً لحياده.
ومع حياد أبي عبدالله إلا أنه شهد أن عبدالقادر كان كثيراً ما يشكو من الإخوان المسلمين وأنهم أتعبوه، في الوقت الذي كان لعبدالقادر حضور في التيار السلفي، بل كان يخطب فيهم الجمعة أحياناً، وحاول عبدالقادر أن يبيض ويفرخ وينصب شباكه وشراكه وفخاخه في اليمن، فلم يصل إلى بغيته ولم تحقق أمنيته، ولعله غادر اليمن.
ويبدو أن أي مشروع سياسي لأي حركة دينية؛ هو ما كان يقض مضجع عبدالقادر، بخلاف الحركات البعيدة عن السياسة.
وإن كان الإخوان تسببوا في إزعاجه إلا أن هذا الكلام كان في عام الألفين ولسنا على يقين من تغير نظرته إليهم بعد ذلك، وخاصة أنه كان يثني على حسن الترابي وهو من مشتقات الإخوان المسلمين.
كما لا يستبعد أن عبدالقادر يهدف للوقيعة بين الجماعات والتيارات المختلفة، والله أعلم.

[٣٠] كان عمر أبي عبدالله حينها لم يتجاوز الثلاثين عام.

[٣١] هل السامري هو المسيح الدجال؟!
كونه سامرياً وليس إسرائيلياً، قد يفيد ذلك !
ولم يُبعث إليه موسى إلا بالتوحيد كما بُعث إلى فرعون.
وفرعون ليس إسرائيلياً فبُعث إليهم سيدنا موسى عليه السلام بأصل التوحيد لا بشريعة التوراة.
ففي الحديث: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة) رواه البخاري ومسلم.
فيبدو أن السامري لحق ببني إسرائيل ليفسدهم من الداخل.
ورآها طريقة أفضل من القمع العنيف الذي مارسه فرعون ثم لم يجد نفعاً.
ولذا فإن سيدنا موسى عليه السلام مع أنه أخذ بلحية أخيه يجرها إليه إلا أنه لم يفعل ذلك في السامري لعلمه أنه لن يُسلط عليه، فخاطبه: (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ).
و(لك) تدل أن ذلك منحة له، وقوله: (أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ) أي لا أحد يُماسُّني أو يُجالِسني.
ويُعتقد أن الماسونية العالمية ما هي إلا جماعة الماسّون – بتشديد السين– وهي مأخوذة من لفظة (الماسّ) من الملامسة، والذين يسمون أنفسهم (البناؤون الأحرار)، بل ويطلقون على معلمهم (الأستاذ الأعظم) و(مهندس الكون).
ومما يدل على أنه كان موجوداً في أيام الفراعنة أنه وجد مكتوباً على الهرم الأكبر خوفو (تاريخ الملك الذي بني في عهده ذلك الهرم، قصة الذي بناه؛ فكتب عنه: أنه رجل أتى وعلم المصريين بناء الأهرامات والطب وتحنيط الموتى وبعض الفيزياء والتحركات الشمسية والكوكبية وغيرها من العلوم الكثيرة، وكانت لديه علوم واسعة، فاستوزره الفرعون، فظل فترة وزيراً ثم اختفى). فكتبوا عنه على الجدران: (الرجل الذي أتى بسلام وذهب بسلام).
ويبدوا أنه ضالع في تعليمهم الشرك وأنه هو من أخرج لهم صنماً على صورة رجلٍ قائم ووجهه على صورة نسر بعين واحدة وفوق رأسه الشمس. فعبدوا الشمس. وما يزال هذا الشعار موجوداً على الجدران الفرعونية.
بل وظهر في كنيسة من الكنائس في نيروبي مؤخرا شخصية تدعى (ماتيريا)، ظهر وخطب فيهم، ويتكلم بجل اللغات.

والجو العام لهذا الكلام أن عبدالقادر أراد القول: إنه تستر باللباس القصير للدخول إلى البقعة الطاهرة، دون أن يكشفه أحد !!

ولعل هذا الأمر هو ما جعله مرتاباً متلفتاً متأخراً في حضوره المطار وقت صعود الطائرة.

عبدالقادر رفيق سفرٍ إلى حرض:

كان أبو عبدالله يعمل سائقاً على باص خاص بوالده وخاله على طريق حرض، التي تبعد عن الحديدة قرابة المائتي كيلومتر (٢٠٠كلم).

وذات مرّة حاول أن يقنع عبدالقادر أن يصطحبه في بعض تلك الأسفار، وبعد شق النفس وافق أن يرافقه لكنه وعد أن يلقاه في محطة تجمع الباصات.

وبالفعل جاء كعادته يمشي مشية المتوجس وتطفح عليه علامات القلق والخوف والارتياب من شيءٍ ما، وكعادته أيضاً في ارتداء الشماغ؛ إما على طريقة العصابة اليمنية، أو على طريقة ارتداء أهل الحجاز، وفي كلا الحالتين كان يغطي جبهته كاملةً مع حاجبيه، ويرتدي النظارات السوداء التي لا تكاد تفارقه.

استقل الباص ومشى الجميع غير بعيد، فجأة إذ بأبي عبدالله يُفاجأ بصياح الركاب ينبهونه أن الأدخنة تتصاعد من السيارة.

أوقف أبو عبدالله السيارة فتفاجأ من ارتفاع درجة الحرارة حتى كادت النار تشتعل، ووجد أن المحرك قد اختلط فيه الماء بالزيت، وأن البطارية تغلي من شدة الحرارة، فاضطر إلى إنزال الركاب والعودة.

نعم، العودة !

تساءل أبو عبدالله في نفسه: كان عبدالقادر يرفض الذهاب ولم يوافق إلا تحت طائلة الإلحاح ثم ها نحن نرجع من حيث أتينا.

يا ليت شعري هل له يد في ذلك؟!

وفي طريق الرجعة التقوا بغلام صغير لا يتجاوز عمره التسع سنوات كان قد تهرب إلى السعودية ورجع، فأوصلوه إلى بيته في الحديدة.

وكان الصبي أعجوبة في حفظه للشعر.

عبدالقادر والسحر:

في الحديدة كان أحدهم يسأل عن منزل أحد السحرة المشهورين، فسأل عبدالقادر، فزعم عبدالقادر أنه نصحه وأبان له حرمة هذا العمل، إلا أنه لما رأى الرجل مصراً دله على بيت الساحر، فأنكر عليه أبو عبدالله قائلا: كيف تدله على بيت الساحر وأنت تعتقد حرمة السحر؟!

فتعلل عبدالقادر بأعذار باردة من أنه قد أقام على الرجل الحجة فرآه مصراً.

ظهر في الكنيسة وشفى كثيراً من الحالات المرضِية التي كانت حاضرة، وظهوره بهذه الحالة وعلى هذه الهيئة يفهم منه أنه يقدم وكأنه رجل خارق أو مخلص، أما اسمه فهو شبيه بأريتريا، منبع وأصل صاحب القصة عبدالقادر. ولعل الأيام القادمة كفيلة ببيان حاله.

هنا تساءل أبو عبدالله في نفسه: هل لعبدالقادر علاقة بالسحر أيضاً؟!

عبدالقادر يرغب في الذهاب إلى أفغانستان:

أفصح عبدالقادر عن رغبة جامحة في الذهاب إلى أفغانستان(٣٢)، لا للجهاد ولكن بغرض التدرب على جميع أنواع الأسلحة.

وسأل أبا عبدالله عما إذا كان يعرف أحداً يوصله إلى هناك؟

فقال له: نعم.

قال: إذن فأبلغهم أني أريد الذهاب إلى هناك، وبالفعل أبلغ أبو عبدالله اثنين من الإخوة: أحدهم: علي حمزة بهلول، والآخر: محمّد صالح سمبوسة.

فوافقا على طلبه إلا أنهما طلبا إعطاءهما بعض الوقت للإعداد والترتيب للأمر، وفي حقيقة الأمر.. لم يستبن السبب الحقيقي وراء طلبه السفر إلى أفغانستان، هل للإيقاع بهم أو لتوثيقه وتزكيته عند المجاهدين، أم لإظهار الصلاح أمام أبي عبدالله؟!(٣٣).

ومما كان يدعيه عبدالقادر أنه قرأ حديثاً قبل فترة من الزمن، وزعم أنه درسه لطلابه في السودان وأن الحديث جاء فيه: يخرج رجل من قحطان، يقحط الناس قحطاً(٣٤).

يقول أبو عبدالله: وهو نص لم أجده بعد طول بحث، فالحديث المعروف هو بلفظ: (لا تقوم الساعة، حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه).

في تلك الفترة كانت زوجة أبي عبدالله حاملاً على وشك الوضع. فقال لعبدالقادر: إنني ذاهب إلى المدينة المنورة وأرغب في سكناها.

وأنتظر هناك خروج الإمام المهدي، فها هي الفتن زادت، ولا أظن إلا أنه قد اقترب خروجه عليه السلام، فأتمنى أن أكون هناك.

لكن عبدالقادر كان كلما سمع سيرة مكة أو المدينة وانتظار المهدي، لا يفتأُ ينصح بعدم الذهاب ويبرر ذلك بخشيته على أبي عبدالله من التعرض للضرب أو الاعتقال أو القتل، وأن قوات حرس الحدود لا يخافون الله ولا يرقبون في اليمنيين إلاً ولا ذمة. وزعم أنه تهرب إحدى المرات إلى السعودية وكان في حوزته عقيق وأحجار كريمة بغرض التجارة بها، فألقي عليه القبض وضُرب، واتُّهِم بالسحر.

٣٢ _ لو ربطنا بين رغبته في الذهاب إلى أفغانستان وبين ما رواه البخاري في صحيحه: (الإيمان يمان والفتنة ههنا، ههنا يطلع قرن الشيطان) بالإشارة إلى المشرق، قد نجد تعليلاً لرغبته الجامحة تلك في الذهاب إلى هناك، فمصير الدجال أن ينصرف إلى المشرق وأصفهان التي يخرج منها بسبعين ألفٍ من أتباعه، ولعله يجد الجو مناسباً لقلة الإيمان وقلة الفقه فيتبعونه !
كما لا يستبعد أن رغبته في التوجه إلى أفغانستان، التي هي خراسان، للحيلولة دون خروج الرايات السود التي توطئ للمهدي عليه السلام، كما ورد في حديث ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خرسان فأتوها ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي) عقد الدرر.

٣٣ _ إن كان هو الدجال فعلاً فهو يعلم أن للمهدي حضوراً من خراسان، ولا يُستبعد هنا أن عبدالقادر يسعى لقطع الخيوط التي يمكن أن توصل أبا عبدالله إلى أفغانستان. كما ظهر ذلك جلياً أثناء السحر بحرصه على عدم دخول أبي عبدالله إلى مكة، والله أعلم.

٣٤ _ هل وجد عبدالقادر الحديث في مخطوطة نادرة وقف عليها؟! أم أنه فهمه من انتزاعه القحط من قحطان؟! أم افتراه كذبا؟!
ومن يقصد بهذا الرجل القحطاني الذي يقحط الناس قحطاً؟! هل يقصد به المهدي الذي يخرج من كرعة؟! أو يقصد به القحطاني صاحب المهدي الذي يخرج من يكلا؟!
أو يقصد به نفسه –إن كان هو الدجال– الذي يأتي أهل اليمن فيجدهم أهل إيمان، فيأتي إلى المشرق فيصدقوه فيقحط الأرض كلها؟! الله أعلم.

ووضعوا تلك الأحجار الكريمة تحت المجهر ليتأكدوا إن كان فيها سحراً.

المهم ! وضعت زوجة أبي عبدالله حملها يوم ثلاثاء.

واتصل بأبي عبدالله الأخوان علي بهلول، ومحمّد سمبوسة وتواعدوا على اللقاء يوم جمعة.

فالتقوا على سيارة باص؛ كان أبو عبدالله في كرسي القيادة، وبجانبه علي بهلول، وفي الخلف محمّد سمبوسة، فطلبا من أبي عبدالله سرد كل ما يعرفه عن عبدالقادر، فتعجب من ذلك، وقال: ما سبب الطلب؟

فقالا: اسرد كل ما تعرفه وسنقول لك، فسرد لهما طرفاً من قصته مع عبدالقادر.

ثم قالا له: لعلك نسيت شيئاً، فحاول استذكاره.

فقال: هذا كل شيء عنه تقريباً.

فقالا: ألم يقل لك عن رؤيا تملكه العالم؟ وعن دستوره الذي سيحكم به العالم؟ وطلب منك العمل معه؟

قال: نعم.. ولكنه استأمنني على ذلك، فلم أحبّ أن أفشي سره، فمن أين لكما هذه المعلومات؟

قالا: الأمر مشهور وقد جمعنا هذه المعلومات عبر بعض الإخوة من طلبة العلم الصوماليين والإرتيريين. ونحن نتوقع أن يكون عبدالقادر عميلاً مزدوجاً مع أكثر من جهة استخباراتية، وعميل مع أكثر من دولة، ومن ضمنها السعودية.

فسألهم أبو عبدالله: ما فائدة كل هذا؟

فقال علي حمزة: بعد أن حدثتنا عن الرجل، جاءني إلى مقر شركة الربان، التي أديرها، شاب صغير أسمر اسمه يحيى؛ كان يدرس عند الشيخ مقبل الوادعي، في دماج بصعدة.

قال أبو عبدالله: أعرفه، درّسته هناك.

فقال علي حمزة: قال لي هذا الشاب أنه مرسل من عبدالقادر، وأن عبدالقادر يسأل عن صحة كلام أبي عبدالله وذهابنا به إلى أفغانستان.

يقول: فتهربت من الإجابة -لدواعٍ أمنية-. وقلت: ليس لي علاقة بأفغانستان، ولا بالقاعدة ولا بالمجاهدين.

ويضيف علي حمزة: أن هذا الشاب جاء مرة أخرى وبنفس الطريقة يؤكد أن عبدالقادر قال له أنه -أي علي حمزة- سيذهب به إلى أفغانستان.

فرد عليه: أنك لو جئت مرة أخرى إلى هنا سأبلغ عنك، وأسلمك للشرطة، أنا لا أعرف أفغانستان وليس لي علاقة بالمجاهدين، وآخر مرة أراك فيها هنا. واشتد عليه بالكلام.

قال علي حمزة: فاجتمعنا أنا ومحمّد صالح، وتدارسنا الأمر، ولماذا أبو عبدالله وعبدالقادر فعلوا ذلك؟! ولماذا استخدموا هذا الأسلوب؟! وبناءً على ذلك أخذنا في جمع المعلومات عن هذا الرجل من أوساط الأفارقة الموجودين في الحديدة، وحصلنا على ما حصلنا عليه من المعلومات التي ذكرناها لك. كما أننا راسلنا المجاهدين في الصومال نسألهم عن عبدالقادر، فجاءتهم الإجابة أنه لا يوجد شخص بهذا الاسم، ولم يخرج أحد من هنا يحمل هذا الاسم.

ثم اكتشفوا أن اسم (عبدالقادر محمّد حيد باقاصي) اسم وهمي ظهر فجأة ولا يعلمون من أين أتى؟!

وأنه رجل كذاب ومجهول، ثم إن الأخوان علي حمزة ومحمّد سمبوسة، اتفقا على الذهاب إلى بيت عبدالقادر.

يقول علي حمزة: وصلنا إلى بيته في منتصف الليل فطرقت بابه وانصرف محمّد سبموسة؛ فخرج عبدالقادر وعليه رداء إحرام الحج قد وضعه على رأسه وتلثم به، فسأله عبدالقادر: من تريد؟

فقال علي: ابدأ أولاً بقولك تفضل.

فقال عبدالقادر: تفضل.

فلما دخلا، مثل علي حمزة دور رجل الأمن.

قال علي: سمعنا أنك ترغب في الذهاب إلى أفغانستان، فلا داعي للسفر فأي أسلحة ترغب في التدرب عليها سندربك عليها في أي معسكر من معسكرات الدولة اليمنية، فتغير وجه عبدالقادر وأخذ يضع يده على بطنه، وأخذ يسترحم ويطلب عدم الأذية ويقول: أنا أخوكم وغريب، فلا تؤذوني.

فأشار عليه علي حمزة بسبابته مع رفع الإبهام -إشارة السلاح-، كما في الصورة (رقم: ١).

وقال له: يا غريب خليك أديب، -أي كن مؤدباً-.



صورة (١): طريقة تأشير علي حمزة إلى عبدالقادر

فقال عبدالقادر: إذا أشَرْت إلى رب العباد فأَشِرْ هكذا، -أي بخفض الإبهام-.

واستخدم نفس الإشارة سوى أنه ضم إصبعه الإبهام، كما في الصورة (رقم: ٢)، وأشار بالسبابة إلى الأسفل.



صورة (٢): طريقة تأشير عبدالقادر إلى نفسه

قطع صوت المحادثة طرقات الباب، فقام عبدالقادر متلثماً وخاطب الطارق من النافذة: من؟ فسأل محمّد سمبوسة: أهذا بيت فلان؟ -وذكر اسماً وهمياً-.

فقال: لا، فانصرف، وكان علي حمزة قد اتفق معه على هذا الفِعْل؛ ليدخل الخوف على قلب عبدالقادر، وكان على خاصرة محمّد مجموعة من المفاتيح والسلاسل ليحدث نوعاً من الرعب أثناء المشي.

جلس بعدها عبدالقادر، فقال له علي: هذا أخذ لك صورة بدون أن تشعر، ولم يتنبه إلى أن عبدالقادر كان ملثماً حال فتح الباب.

الجدير بالذكر أن علي حمزة وجد عند عبدالقادر كتاب خرائط.

فقال له: هل تستعين بهذه الخرائط على حكم العالم؟! ثم استأذنه في استعارة الكتاب فأذن له.

وانصرف علي وبعد أيام جاء فوضع الكتاب مسنوداً إلى الباب، حتى إذا فُتح الباب سقط الكتاب إلى الداخل لحظة فتحه، وهذه حركة تهديد يستعملها رجال المخابرات.

أي أنك مهدد بالسقوط ميتاً حال فتحك الباب، كسقوط الكتاب.

في نهاية الأمر ختم علي حمزة كلامه مع أبي عبدالله بقوله: بعد كل هذا، اتصلنا بك لنخبرك بما حصل بيننا وبين الرجل، والآن ننصحك بالابتعاد عنه، لأنه مريب، ويُحتمل أن يكون رجل مخابرات، وربما يكون عميلاً مزدوجاً أو عميلاً لعدة دول، وقد وصلتنا أخبار أنه قد ذهب إلى السعودية عدة مرات، والتقى برجل يدعى حسن عريشي، ونحن نعرف أن العريشي هذا رجل مخابرات سعودي، وقد يكون جَنَّده لحسابه.

وهذه المعلومة أذهلت أبا عبدالله، وخصوصاً أنه كان ينوي الدخول إلى السعودية، وشعر أن الباب مغلق أمامه، لأن كل ما قاله لعبدالقادر لا يستبعد أنه قد قام بإيصاله للسعودية، فربما يُقبض عليه فور دخوله السعودية.

يقول أبو عبدالله: وفي تلك الجلسة في ذلك الباص أثار استغرابي وشعرت في أعماقي أنني وإن كنت أرى الصديقين السابقين: علي حمزة، ومحمّد صالح، في صورتهما وأسمع نبرة حديثهما إلا أن حركاتهما ليست معهودة.

قال: وخيّل إليّ وكأن الشخصين الذين أمامي لا يعدوان أن يكونا شيطانين من الجن تمثلا في صورة صديقين لي.

وفي تلك الجلسة أوصلوا لي عدة رسائل منها ما ذكرني به محمّد صالح عند سؤاله عن عيون عبدالقادر.

فقال: ما رأيت في عيون عبدالقادر قطعاً بيضاء؟

قلت له: نعم، رأيتها. قال: ما تظنها؟

قلت: لا أدري، لكن أتذكر أني سألته ذات مرة عنها؟ فقال لي أنها مرض وكان معي في السودان قطرات لإزالتها، لكن الوضع الصحي في اليمن ضعيف ولا توجد هذه القطرات، وسأرسل لإحضارها من هناك، وسأستعملها، وأنه يرى بإحداهما ولا يرى بالأخرى.

فقال محمّد صالح: هذه القطع البيضاء في العين ما وردت في الأحاديث النبوية؟

قلت: لا، لا.

قال: ألا يوجد في الطب النبوي ذكر لها؟

قلت: لا.

قال: ألا توجد شخصية تأتي ولديها قطع بيضاء في عيونها؟

قال أبو عبدالله: ففكرت في إجابة لكن لم أجد.

قال: أما تشعر أن يكون هو المسيح الدجال؟

فاستغرق أبو عبدالله في الضحك، فإن آخر ما يفكر به أبو عبدالله أن يكون عبدالقادر هو المسيح الدجال؛ لكن المريب أن علي حمزة الذي كان جالساً بجوار أبي عبدالله شارك في الضحك لكن ضحكه كان ضحكاً تفوح منه رائحة السخرية، بل زاد على ذلك أن صرخ مستنكراً: الدجال؟! وفي اليمن؟! ما الذي يأتي به إلى اليمن؟! الدجال يخرج من المشرق ! بعيد أنت يا محمّد سمبوسة.

يا محمّد أي دجال وأي كلام هذا؟! دعنا من هذا الهراء، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء ماكرة، كمحاولة منه لتجاوز الموضوع بعد أن وصلت الرسالة، ما زاد من تضاعف الشعور أن هؤلاء كأنهم شياطين أرسلهم عبدالقادر لكن في صورة أصدقاء.

وفي الأخير تم الاتفاق مع علي حمزة -وإن شئت فقل الشيطان المتمثل به- على الذهاب إلى الأفارقة الموجودين في الحديدة لسؤالهم عن عبدالقادر من باب الاستيثاق من الخبر، وبالفعل تم الذهاب إلا أنهم لم يجدوا أحداً منهم، وكان أكثرهم يطلب العلم.

فقال أبو عبدالله: إذن لا داعي للبحث أنا مصدق لكل كلامكم.

ثم انفض اللقاء.

ويبدو أنه مع اعتقاد أبي عبدالله أنهما شيطانان إلا أن تفاصيل ما ذكراه كأنه حصل من الشخصين الحقيقين بالفعل كما فهمته من أبي عبدالله.

عبدالقادر يبدأ بالمواجهة:

بعد أن أوصل عبدالقادر رسالته في المنع من الذهاب إلى مكة بدأ يواجه أبا عبدالله بأسلوب آخر.

وبعد أيام كان أبو عبدالله يستقل سيارته -هايلوكس زرقاء- راجعاً إلى بيته الواقع في حي غليل في الحديدة إذا به يصادف عبدالقادر وهو يمشي عند بوابة البيت، وكعادة عبدالقادر في تغطية جبهته بإسدال العمامة عليها وتغطية عينيه بنظارات سوداء.

وإذا به يرفع عمامته عن جبهته ووقعت عينا أبي عبدالله على عين عبدالقادر، وابتسم عبدالقادر ابتسامة ساخرة ماكرة، وأنزل عمامته على جبهته مرّة أخرى ثم غادر.

بينما واصل أبو عبدالله السير حتى دخل بسيارته إلى فناء داره؛ دخل وهو يشعر بنوبة من التغير والخوف الشديد والشكوك.

وأصبح الخوف يتملكه بصورة مفرطة، وأصبح يشك في أسرته وفي من حوله.

وذات يوم دخل أبو عبدالله بيته، وإذا بوالده ووالد زوجته وكلهم جاءوا يزورون زوجة أبي عبدالله بعد وضع حملها.

وبعد الجلوس والسؤال عن أخبارهم وأحوالهم؛ حدق أبو عبدالله النظر في وجه والده وقال له: اسمع !

قال: نعم.

قال: غداً سيتم إنزالي ساحة الإعدام وأعدم، وكانت لهجة الحديث ونبرة الصوت تفوح منها رائحة الصرامة والجد.

فقال له أبوه: ولماذا؟

قال: سيتهمونني بأي تهمة ويعدمونني مباشرة !! وأنا أوصيك من الآن فعندي ديون للناس، وأرجو إنك تسددها عني.

فقال الأب وهو متعجب: يا ولدي بدلاً من أن أوصيك أنا بسداد الديون، توصيني أنت بسداد ديونك؟!

قال: أنا أحدثك عن جد ولست هازلاً، بدأ الجو في البيت وكأن الخبر صدق، وبدأوا يحملون الأمر على محمل الجد.

وكادوا أن يصدقوا في البداية؛ وبدأوا يتساءلون كيف سيتم ذلك؟! بأي حق؟! سكتوا عنه أياماً.

وفي ذات يوم وقف أبو عبدالله في أهله خطيباً وقال: اسمعوا ! والله أني بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، غداً سينزلونني ساحة الإعدام، ويتهمونني بارتكاب الفاحشة وأنا متزوج، ووالله ما ارتكبت فاحشة طوال عمري.

فظل الجميع في حالة ذهول، والوجوه حزينة كئيبة؛ منهم الباكي ومنهم من لم يصدق، وبدأ سيل من التساؤلات عن ملابسات الأمر.

ثم وقع في روع الأب أن ابنه قد سُحر، فأخذه وقرأ عليه هو وعلي شقيق أبي عبدالله.

فاستفاق أبو عبدالله وهو يشم رائحة منتنة تنبعث من فمه فاكتشف أنه مسحور، لكنه لا يلبث بعد أن يفيق ويثور أن يهمد ويخور.

ولما تفاقمت حالته بدأ السحر ينتقم من ثقافة أبي عبدالله ومن علمه فسلطه على كتبه فجعله يحرقها بيده فأحرق كتاب الفتن لنُعيم بن حمّاد، وكتاب عقد الدرر[٣٥].

هكذا هو غضب وسخط الشياطين من هذه الكتب.

نعم تلك الكتب قد تعوض إلا أن هناك سبع عشرة ورقة ما يزال أبو عبدالله يتحسر على حرقها؛ حيث كان مدوناً فيها سلسلة من الأحداث التي تكررت معه من التوفيقات والفتوحات التي تقع له كل يوم أحد في غالب الأسابيع.

[٣٥] _ وليس بخافٍ أن هذين العنوانين من عناوين الكتب النادرة، الأكثر تبياناً وإيضاحاً وشرحاً لأمر المهدي عليه السلام، بل يذهب بعض العلماء التقليديين إلى عدم صحتها. وكأن الأمر يدار على يد الدجال، سواءً الإحراق أو الطعن في صحتها ! والله أعلم.

بدأ كتابة تلك الأوراق منذ مدة وذلك بعد أن لاحظت زوجته تلك الموافقات العجيبة ابتداءً من يوم عقد نكاح زواجهما ويوم زواجهما بل ويوم ميلاد زوجها ويوم إتمامه حفظ القرآن الكريم، وغيرها من الأحداث والتي كانت جميعها توافق يوم الأحد.

فلفتت انتباه زوجها لذلك ولم يكن بعد قد أعار انتباهاً لهذا الأمر.

فكان أبو عبدالله بعد ذلك حفياً بيوم الأحد؛ يكتب ما ينتابه من أحداث في حياته ويدونها.

لكن كل ما دونه من أحداث في تلك الأوراق أحرقها في حالة غياب وعي من تأثير السحر.

تفاقم الأمر حتى كاد السحر ينتاب البيت كله تقريباً؛ على اختلاف في مدى تأثير السحر في كل فرد.

وأخذت أم أبي عبدالله نصيبها من هذا البلاء، وقرأ عليها ونطق الجني على لسانها وتوعد بتدمير البيت كله وخاصة ابنها؛ عبدالله.

يقول أبو عبدالله: وجاءني والدي مرة وأمرني بصلاة الضحى وكلنا تحت تأثير السحر، فقلت له: لن أصلي.

قال: فضربني بلي الغاز (خرطوم تسليك الغاز) ضرباً مبرحاً ولم يمنعه من ضربي إلا أخي علي الذي وقف حائلاً بيني وبينه، ثم ذهب والدي مباشرة إلى خزانة فيها سلاحه وأتى به ليقتلني، فوقف أخي علي على باب الشقة ولم يسمح له بالدخول، وجميعنا كان تحت تأثير السحر.

وسمع أحد الجيران بالضوضاء فجاء على جناح السرعة واستدعى والدي فأخرجه من البيت، فهدأ الموقف، وسلم الله.

لكن ذلك الجار سُحرت زوجته حتى الموت بعد ذلك عقوبةً له على إفشاله محاولة قتل أبي عبدالله عبر سحر أبيه.

اتخذ أبو عبدالله قراراً بمغادرة المنزل، بل واليمن وقرر الرحيل إلى الحجاز.

فدخل السعودية تهريباً وكان إذا أفاق ركب مع سيارات الأجرة مسافة عشرة كيلومترات أو أكثر ثم يغيب وعيه فيرجع تلك المسافة مشياً.

واستمر على هذه الحالة فلم يكد يصل إلى مكة إلا بعد شق الأنفس؛ عندما وصل إلى جدة صلّى بالناس إماماً لأيام في مسجد نور اليقين -الواقع في دوار الفلك- وقد كان قبل ذلك يصلي بالناس في مركز الدرمحي التجاري في مسجده؛ نور الإيمان.

وفي ذات يوم عاودته حالة السحر فمشى من جدة إلى مكة مشياً على الأقدام، وفي أثناء ذلك مرّ ببئر كبيرة جداً تُعبأ منها صهاريج الماء.

وتحت وطأة مفعول السحر كان يحدث نفسه أنه إن تردى في أعماق البئر السحيقة القعر فلن يصيبه شيء لأنه من أولياء الله الصالحين.

فكان إذا وقف على شفيرها أفاق وأعاد هارباً.

تكررت معه مراراً ويفيق في اللحظات الأخيرة.

وفي طريق السيارات السريع بين جدة ومكة كانت تأتيه الحالة وتحدثه نفسه أن يقف وسط طريق السيارات ويلقي بنفسه أمامها، ولن يصيبه مكروه لأنه من أولياء الله الصالحين، فإذا وصل إلى حافة الطريق أفاق وابتعد هارباً.

تكررت الحالة معه مراراً ويفيق في اللحظات الأخيرة.

وفي ذات ليلة وهو يمشي إلى مكة في صحراء مقفرة احتوشته كلاب كبيرة وأخذت تنبح وكأنها تريد أن تهاجمه، وبدون أن يتكلم إذا به يسمع صوتاً كالصفير والوشيش كأنه يزجرها، فأنزلت ذيولها وولت هاربة، فالتفت ليرى مصدر الصوت فلم ير أحداً !! والصحراء ممتدة لا يرى فيها منازل ولا بيوت ولا بشر؟! ولاحظ على نفسه أن لسانه كان يلهج مولعاً بسورة الملك في حالة الإفاقة والغيبوبة، يسيل تلاوة بسورة تبارك كلما أتمّ قراءتها أعادها بشكل تلقائي.

وعاودته الحالة في مكة فمشى إلى جدة مشياً، وهذا كله تم في يوم واحد، عاد بعده إلى مكة، كان يوماً واحداً لكنه مرّ عليه كسنة كاملة؛ كانت الحالة تهجم عليه يوماً أو يومين ثم تتركه أسبوعاً ثم تأتيه.. وهكذا.

وكانت تخف وتكون في أقل درجات وطأتها إذا كان في مكة بخلاف ما إذا كان في اليمن أو جدة.

ومرّة نزلت به الحالة؛ فتوجه إلى المدينة المنورة فوصل منطقة بدر وهي قرب المدينة، ونزل يمشي في الصحراء في مناطق يقال لها الصفراء والحمراء بالقرب من بدر.

وظل يمشي ويطوف على رعيان الغنم باحثاً عن عمل فكان أهل الغنم يشاهدون أبا عبدالله وهو يرتدي ملابس نظيفة ومُكَوّاة فيخافون منه ويظنونه رجل مباحث أو ما شابه، فنظافة ملابسه توحي بأنه ميسور الحال فكيف يذهب إلى البدو ليرعى الغنم؟!

فمرّ على صاحب مزرعة وفيها بئر وكان لديه عاملان من السودان يعملان على إصلاح ماطور شفط المياه، وكانا متسخين من آثار الزيت والشحم الأسود والغبرة تعتريهم.

قال أبو عبدالله: وجئت بملابسي النظيفة المكوّاة وغترتي البيضاء.

وقلت لهم أريد أن أعمل معكم، فارتاب صاحب المزرعة وقال: سألتك بالله ألست من المباحث؟ كأنك مرسل على عمالنا السودانيين، وتريدهم أن يقبضوا علينا؟ ولكن لعلمك أن لديهم إقامات ! ويعني بالإقامات أنهم يقيمون في المملكة بتصاريح رسمية وأن وثائقهم نظامية.

المهم ! استمرّ على هذه الحالة أسبوعاً، كان كلما جلس لدى أحدٍ في مطعم أو في سكن عمال أو استقبله أحد، تأتيه الحالة فيتركهم ويذهب.

قال: وذات مرة وأنا أسير إذا بأناس أوقفوا سيارتهم وسط الصحراء ويتحدثون، فجئتهم وسألتهم عن مزرعة سمعت عنها يسمونها مزرعة النهاري ويقولون أنهم بحاجة إلى عمال.

فقالوا: إنها بعيدة، فسألت بأي اتجاه، فأشاروا عليه، وعندما هممت بتركهم والذهاب باتجاهها، استوقفوني وقالوا إذا وجدت سيارة ركبت لأن الذئاب ستأكلك فالطريق مليئة بها، وكان ذلك معروفاً في تلك المناطق.

قال: فظللت أتجول هناك على هذا الحال وبدون الإقامة، وسلم الله عز وجل.

وبعد تمام الأسبوع أفاق ورجع إلى مكة يوم خميس.

فجلس يومي الجمعة والسبت في بيته فسأله أخوه صلاح: أين ذهبت واختفيت خلال هذا الأسبوع؟!

فشرح له وقال له: إني لا أشعر بنفسي.

ثم التقى صلاح بالشيخ الدكتور أمين إدريس فلاتة، من جامعة أم القرى، أحد العلماء والقُراء المشهورين في علم القراءات، وهو أحد زملاء أبي عبدالله الذين درس معهم في صِغره، فسمع من صلاح عن أبي عبدالله وعن مرضه فجاء للزيارة يوم الأحد بعد صلاة الفجر؛ كان أبو عبدالله حينها في المسجد فجاء أخ يقال له فؤاد الذاري، وبلغه أن الشيخ أمين مع تلامذته في انتظاره على باب البيت، فعاد من المسجد وأدخلهم الشقة وجلس معهم، وحضر تلك الجلسة تلامذة الشيخ أمين وأحد الجيران واسمه جمعان الغامدي، والإخوة فؤاد الذاري، ومحمّد ثابت، وشقيق أبي عبدالله؛ صلاح -رحمه الله-، وأربعة آخرون.

ثم التمسوا من أبي عبدالله أن يقرؤوا عليه.

رفض في البداية.

لكنهم حاولوا معه حتى أقنعوه.

بدأ تلامذة الشيخ أمين يقرؤون عليه ما تيسر لهم من القرآن واحداً تلو الآخر، حتى جاء دور الشيخ أمين فلاته، وما إن شرع في القراءة حتى بدأت التشنجات في جسم أبي عبدالله، ثم دخل في نوبة بكاء، ثم بعد ذلك أحس بتنميل (بتخدير) في جسمه وفي وجهه، وحضر الشيطان على لسانه وبدأ يتكلم.

قال أبو عبدالله: فكنت أسمع كلام الشيطان.

بادروه بالسؤال عمن أرسله؟!

فقال لهم: الذي أرسلني عبدالقادر.

عبدالقادر هو من أرسلني عليه، وهناك اجتماع للجن من الكنائس الأوروبية والشرقية وغيرها، ومن اليهود، وكلهم كانوا يبحثون ويسترقون السمع، وكان مما استرقوه من السمع اسم هذا الرجل. يقصد أبا عبدالله !

وسمعوا بأن هذا الرجل سيزيل أمة اليهود والنصارى -بهذا اللفظ-، وظلوا يبحثون عنه، وأن عبدالقادر أتى عمداً من أجله ومن أجل مقابلته، وهو من وضع له السحر، وكان الهدف تصفيته وقتله.

ثم ذكر كلاماً طويلاً منه: أن هذا إنسان صالح، تعبنا معه كثيراً، فكلما كنا نصل معه في مرحلة من المراحل لقتله، كانت سورة الملك كثيراً ما تفسد علينا أعمالنا وهي على لسانه دائماً.

وذكر حادثة الذئاب، قال: كنا نزج به في المناطق التي فيها ذئاب بغية أن تأكله، حاولنا أيضاً أن نجمع عليه الكلاب، فحضرت الملائكة في نفس الوقت. هكذا يقول. قال أبو عبدالله: فتذكرت ذاك الصوت الذي سمعته الكلاب فأنزلت أذنابها. وتركتني، وكانت مجموعة من الكلاب كبيرة جداً.

كما ذكر حادثة والد أبي عبدالله عندما رفع السلاح.

فقال: نحن الذين دفعناه لذلك، وكان السحر مشتركاً، والجن كل واحد يحرك واحداً منهم.

وقال: بالفعل نحن الذين جعلناه يخالف أمر والده في أداء صلاة الضحى، وتسلطنا على والده ليقتله، وحتى وصلنا إلى تلك المرحلة، وسرعان ما فُك عنه، والذي فكه جارهم.

قال: ولهذا آذينا جارهم أيضاً.

قال أبو عبدالله: وبالفعل ظهر على جارنا علامات السحر والأذية حتى أن زوجته رمت نفسها في بئر وماتت.

وقال الشيطان: ما يتدخل أحد إلا وكنا نؤذيه.

ثم ذكر حادثة البئر والسيارات.

قال: حاولنا أن نرميه في البئر، وحاولنا أن نقذف به أمام السيارات، بذلنا قصارى جهدنا، لكنه كان كلما وصل المرحلة الأخيرة، كان يفيق، حتى أحسسنا أن هناك قدرة إلهية قوية ترعى هذا الرجل وأنه محفوظ ملحوظ.

وكان الشيطان يبكي ويقول أنه أسلم، وما إلى ذلك.

قال أبو عبدالله: بعد تلك القراءة أفقت وأحسست أني نشطت من عقال، وكأن شيئاً بالفعل خرج مني، أو أن شيئاً معقوداً انفك عني، من بعد تلك المرة لم يذهب عقلي كما كان يذهب في السابق، انتهت حالة فقدان الوعي التي كانت تنتابني ولله الحمد، وما بقي إلا شيء من الرعب يأتيني بين فترة وأخرى، وشيء من التوتر، وأشياء خفيفة لا يوجد فيها ذهاب عقل.

بعد انتهاء الشيخ أمين من القراءة، قام ومن معه من الحضور بسؤال أبي عبدالله عن عبدالقادر.

فأخبرهم أبو عبدالله: ما يعرفه عنه، فظهر عليهم علامات الاستغراب وخاصة من رؤيا عبدالقادر المنامية التي قال أنها تتكرر عليه؛ كيف أنه يملك العالم إلا السعودية لا يستطيع دخولها؟! وأخذهم العجب والدهشة لما سمعوا من أبي عبدالله أن على عينيه ظفرات بيضاء، وأنه تظهر عليه آثار العَوَر[٣٦].

كادوا أن يجزموا أن عبدالقادر هو المسيح الدجال.

إلا أنه أشكل عليهم أنه إن كان هو الدجال فعلاً؛ كيف دخل مكة وطاف بالبيت؟! وأحاديث الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم تبين أنه لا يدخلها !

فحسم الشيخ أمين الأمر وقال: لو كنتم نظرتم على جبينه.

رؤيا قديمة في جبال أفغانستان تُعَرِّف بشخص أبي عبدالله:

تسامع الناس بخبر أبي عبدالله مع عبدالقادر، فذهبوا إلى الطائف وجاءوا برجلٍ كان يحتفظ برؤيا منامية قديمة، شُهِرَت عنه، رآها حينما كان يجاهد في أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي.

رأى في منامه: أن شخصاً يكلمه؛ أنه لقيَ المسيحَ الدجال.

[٣٦] _ عيون عبدالقادر فيهما ظفرات بيضاء وفيها شيء من الصفرة وفي الحديث النبوي (على عينه ظفرة غليظة) رواه الطبراني.
ومن الملاحظ أنه لما اجتمع اللون الأصفر من القطع البيضاء على سواد العين بشكل هالة محيطة بالسواد أصبح اللون الإجمالي زيتوني أخضر، وفي الحديث (كأنها زجاجة خضراء) رواه أحمد.
وشكل هالته الدائرية على سواد العين يذكرك بحديث (كأنها كوكب دري) رواه أحمد.
كما أن بياض الظفرة المشوب بصفرة يذكر بحديث (كأنها نخامة في حائط مجصص) رواه أحمد.
وقد أخبر عبدالقادر أنه يرى بإحداها ولا يرى بالأخرى، فهو أعور بحيث أن العور بمعنى العيب في كلتا عينيه.
وهو أعور بمعنى عدم الرؤية في إحدى العينين وكذا كان عبدالقادر فقد أخبر بأنه لا يرى بإحدى عينيه.
والدجال يزيد ظهور عوره وعماه كلما زاد كفره أخرج الطبراني عن عبدالله بن المعتمر –وكان صحابياً–، عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الدجال ليس به خفاء، يجيء من قبل المشرق فيدعو إلى الدين فيُتبع ويظهر، فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيُظهر الدين ويعمل به فيُتبع ويحث على ذلك، ثم يدعي أنه نبي فيفزع من ذلك كل ذي لب ويفارقه، فيمكث بعد ذلك فيقول: أنا الله، فتُغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على كل مسلم، فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان).

فجاءوا به من الطائف إلى جدة، وكانوا قد استدعوا أبا عبدالله إلى نفس المكان على شاطئ البحر هناك، وحضر قرابة الثلاثين شخصاً، ثم سألوه عن رؤياه، وهل ما زالت صورة من رآه في المنام يخبر عن لقائه بالدجال منحوتةً في ذاكرته؟

فأجاب أنه يستطيع أن يميزه إذا رآه.

فسألوه، هل ترى في وجوه الحاضرين أحداً يشابهه؟

فتصفح وجوه الحاضرين، وتسمرت عينه على وجهِ أبي عبدالله، وتبادل الحاضرون الابتسامات إذ كان يحاول التثبت من وجه أبي عبدالله.

كسرَ جدارَ الصمتِ وأفصح قائلاً: هذا هو الذي رأيته في المنام، إلا أن عينيه كانت أوسع بقليل.

رؤيا لأبي عبدالله يَجُرُّ سفينةً:

بعد عدة أشهر حصل خلاف بين أبي عبدالله وبين أحد الذين حضروا هذه الجلسة، وكان يمنياً يؤم المصلين في مسجد حمدان الغامدي في الحفائر، وكان على منهج من يُسَمّوْن بالجامية.

كان هذا الجامي هو نفسه قد رأى رؤيا، وسأل أبا عبدالله عن تأويلها، والرؤيا كالآتي: رأى نفسه على جزيرة وحول الجزيرة بحر فيه أمواج عاتية عالية جداً، وفي الرؤيا وقعت عيناه على أبي عبدالله وهو يسبح في تلك الأمواج العاتية العالية بمهارة وبكل سهولة، وكان الرائي ينتفض وهو على تلك الجزيرة.

وإذا بسفينة شراعية مقبلة من جهة المشرق، يمتد شراعها الأسود إلى السماء؛ فلا تظهر له نهاية، وفيها خط أزرق أو سماوي يمتد على طول هذا الشراع من السماء حتى أسفله، حتى وصلت هذه السفينة إلى أبي عبدالله.

يقول الرائي لأبي عبدالله: رأيتك وأنت تحاول معي وتدعوني لدخول البحر لتعلمني السباحة، وأنا خائف وأرتجف، فرفضت.

وصلت السفينة إلى أبي عبدالله فأمسك بحبلٍ لها، وأخذ يسبح ويسحبها، حتى ذهب بها.

قال الرائي: ثم بعد ذلك ذهبت الرؤيا قليلاً ثم رجعت، قال: فرأيت الجزيرة قد ارتفعت عالياً، وكنت لا أزال على ظهرها وأنا أرتجف، وأرى الأمواج في الأسفل وهي بعيدة جداً فيما الجزيرة مرتفعة ارتفاعاً كبيراً.

قال: وما زلت أرتجف وأنا على تلك الجزيرة. وانتهت الرؤيا على ذلك، والرؤيا وقعت تقريباً في ١٤١٩هـ قبل أحداث ١١ سبتمبر، ولم يكن هناك حضور لافت ولا ظهور طافح للرايات السود كحضورها فيما بعد.

قال أبو عبدالله: فأولتها له أن رايات سود ستأتي من قبل المشرق من خراسان من أفغانستان وستدخل الجزيرة العربية وسيكون لها شأن، ربما تفتح بيت المقدس إلى غير ذلك([٣٧])، ولم أُأَول له رجفته فوق

---

[٣٧] ـ ولعل الرؤيا تشير إلى حديث ابن مسعود الذي قال فيه: بينما نحنُ عندَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إذ أقبلَ فتيةٌ من بني هاشم، فلمَّا رآهمُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، اغرورقت عيناهُ وتغيَّرَ لونُهُ، قالَ، فقلتُ: ما نزالُ نرى في وجهكَ شيئاً نكرَهُهُ، فقالَ: (إنّا أَهلُ بيتٍ اَختارَ اللهُ لنا الآخرةَ على الدنيا، وإنَّ أَهلَ بيتي سيلقونَ بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتَّى يأتيَ قومٌ من قبلِ المشرقِ معَهم راياتٌ سودٌ، فيسألونَ

الجزيرة، واستحييت أن أقولها في وجهه، لأن الرجفان في المنام، من معنى الإرجاف الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الأحزاب:٦٠] أي بالإشاعات نفاقاً.

وأما مهارة السباحة في المنام فهي المهارة في علم الفتن وأحاديث الفتن، التي كانت ترمز إليها الأمواج العاتية العالية.

وارتفاع الجزيرة عن الأمواج، يعني ارتفاع شأنها وذهاب الفتن عنها.

ثمّ إنه بعد ذلك بوقت دار بينه وبين أبي عبدالله نقاش علمي طبيعي حول الخضر.

هل الخضر نبي أم رجل صالح؟ لكن الرجل استغل عدم وجود إقامة نظامية مع أبي عبدالله، إضافة إلى تأويله تلك الرؤيا وحديثه عن الرايات السود وما إلى ذلك من التفاصيل، وكان هذا الشخص ممن حضر جلسة القراءة على أبي عبدالله وسمع في تلك الجلسة ما سمع، فاستغل جميع ذلك وبدأ يبث أنه يزعم المهدية ! كما أشاع أنه عرض ذلك على بعض المشايخ ومنهم ربيع المدخلي، وأن المدخلي رد عليه بقوله: احذر من هذا الشخص فإنه دجال، وكذاب، وسينشر أخباراً، ويدعي دعاوى.

هذا ما نسبه إلى ربيع المدخلي والله أعلم بالحقيقة.

فطارت الإشاعة وشرقت وغربت حتى وصلت إلى المحيط القريب من أبي عبدالله فاضطر للابتعاد عن الحي الذي هو فيه إلى حي آخر، خوفاً من علم المخابرات بذلك.

التحقق من عبدالقادر:

ثم ارتحل أبو عبدالله من مكة إلى اليمن، والتحق به شقيقه صلاح -رحمه الله-، وآخر من تهامة يدعى سامر المشرعي، فالتقوا في اليمن، واتفقوا على الذهاب لزيارة عبدالقادر، والنظر إليه وإلى جبينه والتحقق من حاله.

وعزموا على التناوب في قراءة سورة الكهف في حضرته، بحيث يقرؤها أحدهم ويشغله الآخران في الحوار.

وذهب الثلاثة إلى عبدالقادر وجلسوا معه، وهذا جزءٌ مما دار بينهم، سأله أبو عبدالله: عن الإشكالات التي دارت بين عبدالقادر وبين علي حمزة.

فبدأ عبدالقادر يقص ما حدث، إلى أن قال أن علي حمزة قال له: يا غريب خليك أديب، وأشار إليه بتلك الإشارة.

فقال له عبدالقادر: إذا أشرت إلى رب العباد فلا تشر هكذا أشر هكذا، ويشير إلى نفسه مع استواء أصبع الإبهام والسبابة إلى الأمام وقبض باقي الأصابع.

الخيرَ، فلا يعطونَهُ، فيقاتلونَ فينصرونَ، فيعطونَ ما سألوا، فلا يقبلونَهُ، حتَّى يدفعوها إلى رجلٍ من أَهلِ بيتي فيملؤُها قسطاً، كما ملؤوها جوراً، فمن أدرَكَ ذلِكَ منكم، فليأتِهِم ولو حبواً على الثَّلجِ) رواه ابن ماجة.

فقال أبو عبدالله: إلى رب العباد، -مشيراً إلى السماء-.

أي أن ربّ العباد المشار إليه في السماء وليس أنت حتى تشير إلى نفسك، فيرد عبدالقادر: نعم.. إلى رب العباد لا تشر هكذا وأشر هكذا، ويشير إلى نفسه.

فرددها مراراً، وكرر عبدالقادر نفس الرد.

انصدم أبو عبدالله بأن الرجل يخفي ادعاء الربوبية.

ولم يستوعب صلاح وسامر القضية، ولم يلتفتوا إلى هذه الجزئية من الحديث.

وعندما خرجوا من الجلسة سألهم أبو عبدالله: هل سمعتم في حديثه وكلامه ما يريبكم؟

قالوا: أما كلامه وحديثه فلا.

قال: أَمَا أثار استغرابكم عندما كان يشير إلى نفسه وهو يذكر رب العباد؟**!**

قالوا: كنا نظن أنه يتكلم عن الصلاة أو ما شابه ذلك.

قال: وما دَخل الصلاة؟ وما الذي جاء بذكر الصلاة؟ إنما كان الحديث يتمحور حول ما دار بينه وبين علي حمزة.

فاستيقظ القوم وقالوا: لم نكن نتوقع أنه خبيث إلى هذه الدرجة.

ثم أخبر كلٌ بما كان جاء من أجله وتحقق وتأكد منه إذ كلهم لاحظ الكتابة على جبين عبدالقادر ورأوا بما لا يدع مجالاً للشك كتابة كلمة (كـ ا فـ ر) رأوها كتبت من عروق جبهته.

وكانت الكلمة ظاهرة واضحة في جبينه مقطعة الأحرف في حال استرخاء جبينه، كما تقرب ذلك الصورة (رقم: ٣)، وإذا قطب جبينه أو غضب اشتدت عروقه واتصلت الحروف ببعضها[٣٨]، كما تقرب ذلك الصورة (رقم: ٤).

نعم الفاء على أصل الكتابة العربية بدون نقطة.

ولمزيد من التأكد وطمعاً في تصديق أكبر قدر من الناس؛ ذهب أبو عبدالله فأحضر اثنين آخرين وهما: محمّد سالم شلفان الوصابي، ومحمّد ناجي الرُقَيم؛ من ريمة، وتأكدا بنفسيهما ورأى كلٌ منهم ذلك بأم عينيه، وكان انطباعهما كانطباع سابقيهم.

[٣٨] _ إنها صفةٌ لا تأتي في غير الدجال؛ الكتابة التي على جبينه والتي لا يقرؤها إلا كل مؤمن كاره لعمله، وهي علامة كبرى على أن هذا هو الدجال، وجعلها الله عز وجل للتمايُز (لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) [الأنفال: من الآية ٣٧].



صورة (٣): طريقة ظهور كلمة كافر مقطعة الأحرف على جبين عبدالقادر



صورة (٤): طريقة ظهور كلمة كافر موصولة الأحرف على جبين عبدالقادر

عبدالقادر خطيباً:

الجدير بالذكر أن عبدالقادر كان يحضر دروس الجماعة السلفية !! وكان له حضور في مجالسهم وأحياناً يلي أمر الخطابة !! ([٣٩]).

وصادف أن دخل بعضهم أحد المساجد السلفية يوم الجمعة، فتفاجأوا أن عبدالقادر هو الواعظ والخطيب على المنـبر، فكانت كلمة (كافر) تخط على جبينه إذا اشتد في الخطبة وتظهر بوضوح.

[٣٩] _ قال عبداللهِ بن عمرِو بنِ العاصِ: (إِنَّ في البَحرِ شَيَاطِينَ مَسجونَةً أوثَقَهَا سليمانُ يوشكُ أَن تَخرُجَ فتقرَأَ على الناسِ قُرآناً) رواه مسلم في المقدمة، والدارمي وزادَ: (يُفَقِّهون الناسَ في الدين).
قيل لسفيان: إن ابن بنته يقول: سيأتي على الناس زمان يجلس في مساجدهم شياطين يعلمونهم أمر دينهم. قال سفيان: قد بلغنا ذلك عن عبدالله بن عمرو أنه قال: سيأتي على الناس زمان يجلس في مساجدهم شياطين كان سليمان بن داود قد أوثقهم في البحر، يخرجون يعلمون الناس أمر دينهم. قال سفيان: بقيت أمور عظام. قال زهير بن عباد: يعني سفيان يعلمون الناس فيدخلون في خلال ذلك الأهواء المحدثة فيحلون لهم الحرام ويشككونهم في الفضل والصبر والسُنة ويبطلون فضل الزهد في الدنيا ويأمرونهم بالإقبال على طلب الدنيا وهي رأس كل خطيئة. البدع والنهي عنها لابن وضاح.

فلما أتمّ الخطبة والصلاة خرج الناس، اقتربوا من عبدالقادر ونظروا إلى جبينه عن قرب، فرأوه واضحاً كالشمس في رابعة النهار، إلا أحدهم فكان يلتبس عليه ظهور حرف الفاء.

ولم يقع هذا إلا ممن كان فيه نوع تخوف؛ فكلما كان الكره لعمله أعظم كان الوضوح أبين([٤٠]).

ذهب أبو عبدالله مع أصحابه إلى الشيخ أمين جعفر، وهو أحد طلبة العلم الذين لهم حضور في الحديدة، وعرضوا عليه الأمر، وطلبوا منه أن يحضر ليشاهد ويتأكد من ذلك بنفسه؛ فرفض وتعلل بأن هذا يجرّ إلى إشهار عبدالقادر ويضفي عليه هالة لا يستحقها، وتحت الإلحاح أراد أن يستثبت ممن حضروا وشاهدوا فبدأ يستنطقهم الواحد تلو الآخر.

فخطّ كل واحدٍ منهم شكل الكتابة التي رآها على تراب الأرض محاولة منهم في إقناعه.

لكنه مع ذلك رفض الحضور والذهاب معهم.

خبر عبدالقادر وعلماء الحرمين:

وفي أرض الحرمين عُرض الأمر على بعض المشايخ فتفاعلوا مع القصة، وأبدوا نوع احتفاءٍ بها، وقالوا: لا مانع من صحتها، فقد جاء أن الصحابي الجليل تميم بن أوس الداري لقي المسيح الدجال، كما في صحيح مسلم.

ثم ألقي القبض على أبي عبدالله لـتردده على أولئك المشايخ نظراً لأنهم كانوا خط معارضة للحكم السعودي.

ولما حققوا معه وذكر لهم قصته مع عبدالقادر، وأنه يعرضها على المشايخ.

لم يروا إلا أن الرجل مستغرق بالهذيان من أثر السحر؛ كانوا فقط بحاجة إلى يتأكدوا أن الرجل صادق وأنه فعلاً مرّ بفترة سُحِر فيها.

فلما تأكدوا أطلقوا سراحه بعد أربعة أشهر.

ثم بعد سنين ألقي القبض على أولئك المشايخ، فقد كانت الأحداث مشتعلة في أرض الحرمين، فجرفتهم الأحداث إلى السجن.

لم ييأس أبو عبدالله فواصل عرض القصة على غيرهم فعرضها على مشايخ آخرين كالشيخ محمّد المنجد، والشيخ سفر الحوالي، لكنهما لم يكونا أحسن استقبالاً للأمر من الشيخ أمين جعفر، في الحديدة.

وقد كانت الأوضاع في أرض الحرمين مشتعلةً بأحداث تنظيم القاعدة بقيادة خالد الحاج، ويوسف العيـيري، وعبدالعزيز المقرن، وغـيرهم.

فلا ننسى أننا نعيش الآن عام ٢٠٠٤م، وما بعدها.

فكان في انشغالهم بأحداث تنظيم القاعدة غنيّة عن التطلع إلى قضية أبي عبدالله، وهذا كان حال من يسمع بالقصة من غـير أن يعاين الحال.

---

[٤٠] _ وهذا يزيدنا يقيناً أن عبدالقادر هو الدجال، لأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ذكر الدجال فقال: (إنهُ مكتوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ كَافرٌ يَقرَؤُهُ من كَرِهَ عَمَلَهُ) رواه مسلم.

وأما من رأى وسمع فقد أولع بالقضية، فقد ذهب أبو عبدالله، وسامر المشرعي، ومحمّد ناجي الرقيم، إلى عبدالقادر، وطرقوا عليه الباب عدة مرات ولم يكن موجوداً.

وبعد أن ابتعدوا عن بيت عبدالقادر رأوه قادماً إليهم من بعيد، فانتظروه فما أن وصل؛ نظر إلى أبي عبدالله بغضب وأخذ بيده.

وقال: أريدك، تعال، وسحبه بعيداً عن البقية ثم قال: أنت ماذا تريد مني؟!

فقال أبو عبدالله: أبداً.. فقط أتينا في زيارتك، فلا تناجني دون البقية، ثم رجع أبو عبدالله إلى المجموعة.

فصرخ عبدالقادر: ماذا تريد مني؟!

فقال أبو عبدالله: لا أريد شيئاً.

صرخ عبدالقادر قائلاً: تحسب بأني أنا المسيح الدجال؟

فتشجع أبو عبدالله لاستفزازه للحديث عن هذا الموضوع فقال له: هل يُعقل أن تكون الدجال؟ وفي اليمن؟! ثم باشره بسؤال آخر فقال له: من الذي سحرني؟! فقال عبدالقادر: اذهب وانظر من الذي سحرك.

فقال أبو عبدالله: يا عبدالقادر.. أنت طلبت أن تذهب إلى أفغانستان فدللتك على طريقة الذهاب، وأرشدتك إلى الشباب، وما حصل بينك وبينهم من إشكال هل تظن أني من ورائه؟

قال: نعم، فأقسم له أبو عبدالله أنه لا علاقة له بذلك.

ثم إن عبدالقادر أنكر أنه من قام بعمل السحر أو تسبب في ذلك.

ثم بدأ سلسلة من المشادات الكلامية كان عبدالقادر قد تميز غيظه واشتد قيظه.

فاحمرت عيناه وظهرت أنيابه وبرز جبينه وانعقدت الكتابة على جبينه مرة أخرى، وكان ذلك وقت غروب الشمس واحمرار الأفق، فسطع في وجهه بقايا حمرة الشمس فكان وجهه كأنه شعلة نار.

قال أبو عبدالله: كان منظر عبدالقادر حينها يذكرني بحديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في وصف الدجال إذ قال (كأن رأسه أصلة) [رواه أحمد والطبراني].

المهم **!** شيئاً فشيئاً هدأ النقاش وتلطف الجو، وقبل أن ينفض اللقاء؛ أعطى عبدالقادر كل من حضر عقيقاً.

فأخذوا العقيق إلا أن أبا عبدالله رفض أن يأخذ نصيبه من العقيق، ثم خاض عبدالقادر في كلامٍ طويل حول العقيق وأنه يبحث عن حجر يسمى (حجر الكهرب)، وقد كان عبدالقادر حفياً بالأحجار الكريمة عاشقاً لها ولوعاً بها، فكان يقع في نفس أبي عبدالله أن لعبدالقادر رحِماً وَصُولاً بالشعوذة.

ثم غادر القوم وتركوا عبدالقادر وراء ظهورهم وركبوا سيارتهم؛ التفت أبو عبدالله إلى أصحابه؛ معاتباً لهم على أخذهم العقيق؛ وقال لهم: من يدري لعله وضع في هذا العقيق شيئاً من السحر؛ ثم أخذ العقيق منهم ورماه من نافذة السيارة.

معاناة السحر مرة أخرى:

وفي اليوم التالي تماماً وبعد صلاة العصر تحديداً؛ كان أبو عبدالله قد أغمض عينيه واسترخى قليلاً، فإذا بصوت أخيه صلاح ينادي: أبا عبدالله.. أبا عبدالله، فتح أبو عبدالله عينيه فإذا أخوه واقف أمامه.

فقال: هذا عبدالقادر عند الباب.

فقال أبو عبدالله: افتح له الباب وأدخله؛ ارتبك صلاح وقال متعجباً من هذا التصرف فقال: لن أدخله.

فقام أبو عبدالله بنفسه إلى باب المنزل، ووجد عبدالقادر ومعه شاب آخر يرتدي بنطالاً وشميزاً.

فقال عبدالقادر: أتيت إلى المسجد وأردت غسل أقدامي فوجدت بابه مغلقاً، فهل تسمح لي بالدخول لغسل أقدامي؟!

وكان المسجد يقع أمام بيت أبي عبدالله، فأذن له أبو عبدالله بالدخول([٤١]).

ثم دخل أبو عبدالله وظن أن عبدالقادر دخل وراءه، فلما التفت لم ير عبدالقادر، فعاد إلى الباب مرةً أخرى، فرأى عبدَالقادر يخفي شيئاً مع صاحبه، ويناجيه الحديث همساً. فقال له: تفضل، ثم دخل وأرشده إلى مكان الحمام.

قال أبوعبدالله: لا أدري إن كان قد ألقى في الحمام أوراقاً أو أحجاراً من العقيق أو شيئاً من السحر.

ثم خرج عبدالقادر فجلس مع والد أبي عبدالله -رحمه الله- وكان خال أبي عبدالله موجوداً حينها.

ثم خاض عبدالقادر في كلام طويل وسرد قصة ذهابه إلى مكة عن طريق التهريب وعدم استطاعته الوصول، حيث ألقي عليه القبض وأنه عذب عدة مرات، وأنهم اتهموه بالسحر لكثرة أحجار العقيق التي كانت بحوزته.

وأنه حاجَّهم بقوله: خذوا أحجار العقيق هذه وافحصوها تحت المجهر وتأكدوا بأنفسكم إن كان فيها شيءٌ من سحر.

لم يسترح والد أبي عبدالله ولا خاله لهذا الرجل فأرادا الانصراف، هنا وجه عبدالقادر كلاماً إلى والد أبي عبدالله فقال: أنا أنصحك، امنع ولدك من هؤلاء الشباب، يقصد أصحاب أبي عبدالله؛ ثم أعاد الكلام -بوقاحة وجرأة- وأشار بيده ورفعها إلى مستوى وجه والد أبي عبدالله، ثم خرج.

لم يلبثوا بعد خروجه إلا قليلاً؛ حتى انقلب البيت رأساً على عقب، فإذا بحالة السحر الأولى كأنها تعود من جديد إلى أبي عبدالله وأهله.

وقامت الخصومة بين أبي عبدالله وبين والده وخاله، وحاول والده أن يستفزه في قضية عبدالقادر.

قائلاً: ماذا تريد منه؟ فكان أبو عبدالله يحلف بالله أنه يريد أن ينتقم من عبدالقادر لأنه سحره.

فصرخ الوالد في وجه ابنه وهو في حالة انزعاج شديد.

بالرغم أن أبا عبدالله متغيب عن أهله قرابة السنة، ولم يمض على مجيئه من السعودية في تلك الفترة سوى اثنا عشر يوماً.

---

[٤١] _ إن البرودة والخمول وإسرافه في حسن ظنه بالآخرين كانت صفات واضحة في شخصية أبي عبدالله. ولذلك بدأ يكتسب التوفيق والحذق وتتنمى لديه الكياسة والفطنة من خلال هذه الوقائع، والمعاناة الطويلة. وكما يستفاد من الأثر "ويظهر في صورة شاب موفق "من غيبة النعماني برقم (٢١٧).
ولعل ما وقع بينه وبين المدعو عبدالقادر هو عقد ابتداءِ عداوةٍ بينهما !
ليعرف خصمه وحيله وكيفية تفكيره، وليزيل الله رهبة لقاء المسيح الدجال من قلبه، ولعلها صناعة الله لهذا الشخص على عينه، كما صنع موسى على عينه بنشأته في بيت عدوه فرعون.
والأيام كفيلة أن تثبت ذلك أو تنفيه.

إلا أنه في اليوم التالي خرج من البيت مغاضباً وتهرب إلى السعودية.

وعادت له حالة السحر السابقة، فاختفى في مكة في جرول([٤٢]) واختفى أيضاً خلف قصر الصفا، في منطقة أجياد السد، وكان يشعر خلال تلك الفترة أن والده وأصدقاءه الصالحين هم من عمل له السحر، وكان في حالة من الخوف.

إلا أن اللافت في هذا السحر أنه كان أخف من السابق، إذ كان أبو عبدالله بكامل عقله ووعيه.

إلا من تلك الوساوس والهواجس والظنون والشكوك، أما زوال العقل بالكلية؛ فلا.

وعلى الضفة الأخرى كانت أسرة أبي عبدالله المتواجدين في مكة يبحثون عنه بحثاً حثيثاً ولما طالت مدة البحث توقعوا أنه قد لقى حتفه ومات فبحثوا عنه في ثلاجات الموتى في المستشفيات.

حتى أن أحد أقاربه لما ذكر مواصفات أبي عبدالله لإدارة إحدى المستشفيات فقالوا: نعم هذه المواصفات موجودة لرجل مات ولا نعلم هويته.

فوضع المسكين يده على قلبه الذي كاد ينفطر من الحزن، فلما ساقوه إلى ثلاجة الموتى وكشفوا عن وجه ذلك الرجل.

تنفس الصعداء وقال: ليس هو.

بعد تسعة أشهر خف السحر عنه وضعف فرأى أبو عبدالله في المنام: أن أخته الكبرى واسمها آمنة وكأنها حامل، ووالدته تصرخ، وهو يهدؤها ويقول لها: إن الأمور ستكون بخير، وأنها ستلد بسهولة ويسر.

قال أبو عبدالله: وكنت أرى أن في بيتنا ثلاجة وأني أفتحها وفيها مثل البرودة، وأننا في مكة.

قال: فأولتها أنها فترة الغياب عن أهلي تسعة أشهر وهي فترة الحامل المتم، ولا بد أن أعود إلى أهلي ولا داعي للغياب والتخفي. والذي كان بسبب الأوهام والخيالات الفاسدة نتيجة السحر الشيطاني.

قال: فاتصلت على أهلي ففرحوا كثيراً، وبالطبع كانوا في حزن شديد وعلى وجه الخصوص والدي -رحمه الله-، والذي كان يبكي بمجرد رؤية أي شخص مما يجد من فقدي.

وكان ذلك عام ٢٠٠٤م تقريباً وكان عمر أبي عبدالله يومها ٣٢ سنة.

---

[٤٢] _ وهي منطقة يطلق عليه قديماً (ذي طوى).
ومن خلال هذه الواقعة التي روتها القصة فإن أبا عبدالله قد تغيب في مكة عن أهله في ذي طوى، حتى ظن أهله أنه قد مات ثم رجع بعد تسعة أشهر وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة.
وهنا نلفت عناية القارئ الكريم إلى بعض الآثار التي وردت في بعض كتب الشيعة، قال أبو عبدالله "جعفر الصادق": (إن لصاحب هذا الأمر غيبتان يرجع في إحداهما إلى أهله، والأخرى يقال: هلك في أي واد سلك). من غيبة النعماني برقم (١٨٢).
وأثر ثانٍ، قال محمّد بن علي: (يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض الشعاب –وأومئ بيده إلى ناحية ذي طوى–) من غيبة النعماني برقم (٢٠٣).
وأثر ثالث، قال جعفر بن محمّد: (القائم من ولدي يعمر عمر الخليل عشرين ومائة سنة، يدرى به ثم يغيب غيبة من الدهر ويظهر في صورة شاب موفق ابن اثنتين وثلاثين سنة حتى ترجع عنه طائفة من الناس) من غيبة النعماني برقم (٢١٧).
وفي قوله (عشرين ومائة سنة)، لعله وهم من الراوي فيحتمل أن الرواية على النحو التالي: (يغيب عشرين ومائة يوم، يدرى به، ثم يغيب غيبة من الدهر ويظهر في صورة شاب موفق، ابن اثنين وثلاثين سنة)
فهناك توافقٌ واضحٌ مع ما جرى في قصة أبي عبدالله، حيث غاب مائة وعشرين يوماً أي أربعة أشهر، وهو يدرى أين هو حيث كان في سجون السلطات السعودية.
ثم يغيب غيبة من الدهر لا يدرى أين هو.
فالأولى غاب ودري أين هو، والثانية غاب لم يدر أين هو.
فلعل النص على هذا النحو لكن حصل وهم من الراوي، لأنه لا يليق أن يذكر عمره مائة وعشرين سنة ثم يذكر غيبته، وأنه يدرى به في عمر اثنين وثلاثين سنة؟! ثم لا يدرى عنه في غيبته، والشتات واضح في السياق المروي.

قال أبو عبدالله: وبعد رجوعي تلك المرّة عزمت على نفسي ألا أتعدى على عبدالقادر وألا أبحث عنه، فإن كان هو الدجال فإن عيسى ابن مريم هو من سيقتله.

قال: ولم أر عبدالقادر من بعد ذلك إلا بعض المرات التي رجعت فيها إلى اليمن، فرأيته مرة ماشياً في الطريق، ومرة أخبروني عنه أنه ركب مع ابن خالتي في سيارته الأجرة وأخي علي وابن خالي عادل، وبعد نزوله دفع الأجرة ثم مضى. وسمعت آخر يقول إنه رآه وهو في ملعب للكرة ومعه فريق يدربه من الأشبال ؛ يسيرون خلفه وكأنهم طلابه.

احتراق بيت أبي عبدالله:

وبعد مدّة نشب حريق في بيت أبي عبدالله، ومات أخ لأبي عبدالله كان يبلغ من العمر ست أو سبع سنوات.

كما أصيبت والدة أبي عبدالله، والتصق جزءٌ من عضدها بجنبها من آثار الحريق.

وأصيبت يدا والد أبي عبدالله على إثر محاولاته إطفاء الحريق.

والعجيب.. أن عبدالقادر اتصل بعدها بأحد أقارب أبي عبدالله ولمح في رسالته إلى أنه المتسبب في ذلك الحريق.

خطر التوجه لمعاينة عبدالقادر:

بعد انتشار قصة عبدالقادر في الأوساط المقربة من أبي عبدالله عزمت مجموعة من الشباب -وكان بعضهم من محترفي التصوير- فعزموا السفر للذهاب لرؤية هذه الشخصية المريبة والتحقق مما إذا كانت الكتابة على جبينه ويمكن مشاهدتها أم لا، والقيام بتصوير تلك الكتابة، وتصويره إن أمكنهم ذلك.

والذي حدث أنهم قصدوا الحديدة قادمين من شرق اليمن من أجل ذلك، وبينما هم في الطريق إذا بالفُرقة والشحناء والخلاف يدب بينهم، واختلفت آراؤهم وتشتت جمعهم، وحصلت بينهم مشادات كلامية، قبل أن يصلوا مبتغاهم، وقفلوا راجعين من حيث أتوا.

وعندما عادوا إلى مدينتهم التي خرجوا منها، أنكروا أنفسهم وتعجبوا من الحال الذي وصلوا إليه من الخلاف، بل واستغربوا أن وصل بهم ذلك المستوى غير المعهود في تعاملهم مع بعضهم البعض.

ويبدو أن الشياطين حالت دون وصولهم حفاظاً على صورة عبدالقادر أن تشيع بين الناس، وقد لاحظنا فيما سبق حرص عبدالقادر على عدم إبقاء أي أثر وسحب صورته من مكتب الطيران.

ولذلك كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلم حريصاً أن يرسم صورة المسيح الدجال في مخيلة كل مسلم، فوصفه وصفاً دقيقاً، يخيل لكل من يسمعه أنه يراه رأي العين.

للاستئناس:

ومما يحكيه الشيخ أبو محمّد المدني([٤٣])، أنه سرد لأحد المغتربين في دول الخليج وقائعَ من قصة أبي عبدالله مع عبدالقادر، فطال استغرابه منها.

وبعد عودته إلى الخليج بدأ يتحدث عن هذه القصة مع معارفه وأصحابه.

تواصل معه شخص وقال أنه الدجال، وقال له: أنا من تبحث عنه في بطون الكتب. وجاء ببعض الكلمات غير المفهومة. بل وأخبره بأحداثٍ خاصة به.

قرائن عجيبة:

كما حكى الشيخ أبو محمّد المدني، أنه ذهب ذات مرة مع أبي عبدالله وثالث، إلى مدينة المكلا، لزيارة أحد الأشخاص، ليس لديه أي اهتمام بعلم أشراط الساعة، وعندما تمت زيارته حدثه أبو عبدالله في هذا الباب، وقص له بشكل موجز الأحداث التي وقعت له مع عبدالقادر، وأعجب الرجل بها، علماً أن له رؤيا جميلة من تأويلها أنه سيشهد أحداث الملحمة العظمى مع المهدي، وأن عيسى عليه السلام سيبشره بدرجته في الجنة.

وبعد المبيت لديه في المكلا، استأذنه الثلاثة في المغادرة للعودة، وفي أثناء الطريق إذا بالرجل يتصل بهم، وهو في حال عجيبة، ويطلب منهم الرجوع.

وعندما عادوا إليه؛ قالوا له: ما الذي حصل؟ وكان يملك هاتفاً أرضياً في المنزل.

قال: اتصلت بي امرأة بعدما خرجتم من عندي، وتسألني: هل هذا بيت المهدي؟ فقلت

لها: لا .. لا.

بعدها بقليل اتصل بي رجل يضحك ضحكات شيطانية غريبة ويقهقه، فاستغربت من ذلك الاتصال، ومن خلال الكاشف استطعت الحصول على رقم المتصل، فأعدت الاتصال عليه وسألت الشخص الذي أجابني: هذا رقم من؟ ومن الذي اتصل بي قبل قليل؟

فقال: هذا رقم محل اتصالات في الحديدة، ولا أستطيع أن أعرف من الذي اتصل بك لأن الذين يدخلون للاتصال بالعشرات.

يقول: فتذكرت قصة عبدالقادر الذي حدثتموني عنه، وعن الأحداث التي حصلت لأبي عبدالله مع هذا الشخص في الحديدة.

ثم خاطبنا وقال: العجيب أن الفتاة وهذا الشيطان اتصل على رقم المنزل، ولو أنهما اتصلا بي على رقم الهاتف المحمول، لكنت قلت أنكم أنتم من دبر ذلك، لكني متأكد قطعاً أن رقم هاتف بيتي ليس لديكم، بل إنه لا يعرف الرقم إلا أشخاص معدودون جداً، كما أن الرقم ليس باسمي بل باسم شخص آخر.

---

[٤٣] _ صديق مقرب من أبي عبدالله عاش فصولاً من قصة عبدالقادر، واعتُقِل على ذمة قضية نصرة الإمام المهدي، وهو أحد رموز مشروع حركة أنصار المهدي.

ها هي نخل بيسان لا تثمر !

يقول أبو عبدالله معلقاً على أحداث قصة عبدالقادر واقتراب ظهور المسيح الدجال أنه سمع الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- يذكر في حلقاته على القناة السعودية في تسعينات القرن الماضي، أنه مر على عين زغر قبل خمسين سنة تقريباً وهو في الطريق إلى الحج، فما وجد فيها إلا أطلالاً قد تهدمت، فقال له أحد الطاعنين في السن يومها: أنه مر عليها قبل خمسين سنة -أيضاً- وكان بها أناس يسقون من مائها، فتلك مائة سنة تقريباً.

ومن تسعينات القرن الماضي وإلى الآن قرابة الثلاثين سنة.

إذن .. فقد أوغلت عين زغر في الخراب واليباب ! بل لا تكاد تسمع عن قرية يقال لها عين زغر أيامنا هذه، فقد اندثرت كليّة.

أما بحيرة طبرية، فقد نضب من مائها مقدار الثلثين؛ وما بقي إلا الثلث([٤٤]).

وأما نخل بيسان فقد أضحى بلا ثمر ولا تمر، ولسنا ندري متى كان آخر عهده بالتمر، والحديث أن الدجال سأل تميماً الداري ومن معه:

(فقالَ: أخبرونِي عن نخلِ بَيسَانَ.قلنا: عن أيِّ شَأنِهَا تَستَخبر؟!. قالَ: أسألكم عن نَخلِهَا هل يُثمِرُ؟.

قلنا له: نعم. قال: أمَا إنَّهُ يُوشِكُ أن لاَ تُثمِرَ). وها هي لا تثمر ! وزاد الطبراني: (ثم قال: ما فعلت العرب؟ أي شيء لباسهم؟

قلنا: صوف وقطن تغزله نساؤهم. فضرب بيده على فخذه، ثم قال: هيهات). [رواه مسلم].

مبدأ السلامة:

أيقن أبو عبدالله أن البقاء مع عبدالقادر لا فائدة منه، خصوصاً بعد كل ما وقع منه من أذىً تعدى أبا عبدالله إلى كل من كان في محيطه، فضلاً عن احتمال أن يكون هو الدجال، وعلى إثر ذلك آثر السلامة([٤٥])، فقد علم أبو عبدالله علم اليقين بأنه لن يُسَلَّطَ على الدجال إلا صاحبه عيسى ابن مريم الذي سيقتله برمية رمح يرى عليه دمه، كما جاء في الحديث الصحيح.

وإلى هنا انتهت فصول قصة أبي عبدالله مع هذا الرجل.

---

[٤٤] _ بحيرة طبرية:
هناك سر في بعض البحيرات، فإذا غارت كانت إشارةَ زوال مملكة معينة، وفي ولادة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ذكر ابن جرير في تاريخه أنها غارت بحيرة ساوة. بعد أن كانت بحيرة متسعة الشواطئ؛ فكانت أكبر من ستة فراسخ، تركب فيها السفن، فأصبحت ليلة المولد ناشفة، ففسرها الكهان بقرب زوال دولة الفرس، وكأن الماء سر الحياة إذا غار من مكان معين ذهبت الدولة القائمة هناك. فما وراء ذلك من أسرار هذه الإشارة؟!
في قصة تميم الداري أن المسيح الدجال سأل عن بحيرة طبرية وسأل عن نسبة كمية المياه فيها، وهي في تناقص إلى الآن.
ولا يأتي عهد يأجوج ومأجوج إلا وقد بلغ منسوب المياه أدناه، وحتى يقول أحدهم أذكر أنني أتيت وكان هنا ماء. كأنه قد وصل إلى المنطقة قبل ذلك !.

[٤٥] _ عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: (من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله ! إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات) رواه أبو داود.

خاتمة القصة:

وقد ظلت هذه القصة يتناقلها أصحابها مشافهة، ولم يُكتب لها أن تُدون وتُضبط وترى النور، لحيثيات أمنية ومطاردات ومضايقات. فلما زال الكثير من تلك المخاوف، وهدأت المطاردات، بدأ أصحابها يعتصرون ذكرياتهم ويسترجعون أحداث القصة من حنايا الذاكرة التي أثقلتها الخطوب، وخاصةً بعد أن ظهرت تجليات أوضحت كثيراً من غوامض القصة وفصلت مجملها، وفكت بعض ألغازها، وحلت بعض عقدها، وبعد أن ازداد إلحاح الراغبين في معرفة تفاصيلها، ورأينا أن الوقت ينفد وأن المراحل تُطوى، وقد تفقد القصة قيمتها وقد يداهمنا الدجال من يومه أو غده دون أن تكون القصة رصيداً في معرفتهم وذخيرةً في مواجهتهم للمسيح الدجال.

رُوِيَ أن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء، فأُسري به ورجع من ليلته، وقص القصة على أم هانئ وقال: **(مثل لي النبيون فصليت بهم)**، ثم قام ليخرج إلى المسجد، فتشبثت أم هانئ بثوبه، فقال : **(ما لك؟)** قالت: أخشى أن يكذبك قومُك إن أخبرتهم. قال: **(وإن كذبوني)** [رواه الطبراني في معجمه].

لم يسمع لتخوف أمِّ هانئ رضي الله عنها من تكذيب القوم له بسبب غرابة الواقعة. فإن ثقة الرسول بالحق الذي جاء به، والحق الذي وقع له، جعلته يصارح القوم بما رأى كائناً ما كان رأيُهم فيه. وقد ارتد بعضهم فعلاً، واتخذها بعضهم مادة للسخرية والتشكيك. ولكن هذا كله لم يكن ليقعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الجهر بالحق الذي آمن به. وفي هذا مَثَلٌ لأصحاب الدعوة أن يجهروا بالحق لا يخشون وقعه في نفوس الناس، ولا يتملقون به القوم، ولا يتحسسون مواضع الرضى والاستحسان، إذا تعارضت مع كلمة الحق تقال. [ظلال القرآن (٤/٢٢١٠)].

ولنا أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا لم يمنعنا معرفتنا بوجود النافرين عن القصة والمكذبين لها (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ) [الحاقة:٤٩] ،

وإن كُذبت هذه القصة فقد كذبت أختٌ لها من قبل، فإن حديث لقاء تميم بن أوس الداري بالمسيح الدجال، كذبه بعضهم وخاصة من المتأخرين، وإنما كان لقاؤه ساعة من نهار، فكيف من عاش معه سنين من الزمان؟!

وها نحن نرى تجليات كثيرة توحي بأن هذه القصة كانت تمهيداً لتداعيات كثيرة، من ظهور شخصية المهدي، وخروج الدجال على إثره.

وإن تسارع الأحداث سيظهر أموراً لن تعد هذه القصة مادة للتصديق أو التكذيب وإنما سيصبح تصديقها جزءاً من ثقافة **(فسطاط إيمانٍ[٤٦] لا نفاق فيه)**[٤٧].

---

[٤٦] عن عبد الله بن عمر يقول:كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ قَالَ (هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ). [رواه أبو داود وأحمد وصححه الحاكم وأقره الذهبي].

[٤٧] هناك شواهد مقاربة لأحداث هذه القصة، تبرز فيها شخصية غريبة قريبة من مواصفات (عبدالقادر)، بل ولها نفس الاسم.
لتلك الشخصية حضور في محاولات الإغواء والتضليل، يرويها أحد رجالات الدعوة؛ يؤكد فيها أن المسمى عبدالقادر أيضاً هنا، قد أغوى بعض زملائه الدعاة، الذين كانوا يعملون في مجال الدعوة، إلى جانب أعمالهم الدنيوية في مجال المقاولات الحرة.
وبشراكتهم مع هذا الشخص أُثروا ثراءً فاحشاً وبشكلٍ مفاجئ، وشيئاً فشيئاً تركوا الدعوة؛ بل تركوا الصلاة، واستمرّ الوضع سنين، فإذا بهم

(وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) [ص:٨٨].

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويَأتِيكَ بالأخبارِ مَن لم تَبِعْ لــــه
ويأتِيكَ بالأخبارِ مَن لــم تُــزَوّدِ ... بَتاتاً، ولم تَضرِبْ له وقتَ مَوعِدِ

استشكال وردّه:

قد يقول البعض كيف تخلط بين المدعو عبدالقادر والدجال المحبوس في الجزيرة وبين ابن صياد والسامري، فأقول وبالله المستعان:

يرجع اختلاف العلماء السابقين والمعاصرين في شخصية الدجال إلى عدم جمعهم للنصوص وإلى غموض شخصيته وتعدد النصوص وتشابه القرائن.

وذكر بعض العلماء واستدل على قصة السامري مع موسى وقال إن السامري هو نفسه الدجال وبعضهم قال الدجال هو قابيل ولد آدم، وبعضهم قال هو بلعام بن باعورا وبعضهم قال هو ابن صياد وبعضهم قال هو الذي عنده علم من الكتاب في قصة سليمان مع بلقيس ووووو إلخ.

قال صلى الله عليه وسلم: **(ما من نبي إلا وحذر أمته الدجال)** لم يقل صلى الله عليه وسلم (ما من رسول) بل قال: **(ما من نبي)** فليس كل نبي رسول ولكن كل رسول نبي.

وتخيل كم عدد الأنبياء من يوم خلق الله آدم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم عدد كبير لا يعلم عددهم إلا الله**(**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**)** [غافر:٧٨].

كلهم هؤلاء حذروا أقوامهم من الدجال، وهذا يدل على عظم خطره وشر فتنته التي لا تساوي فتن الدنيا مقابل فتنته شيء، بل كل فتنة تحدث في الأرض تصنع لفتنة الدجال كما جاء في الحديث ومر ذكره سابقاً.

ومن خلال البحث والاستقراء قمنا بجمع النصوص والشواهد وافضى بنا القول على أن شخصية الدجال شخصية واحدة تختلف باختلاف الزمان والمكان وذلك بسبب قدرته على التحول والتغير من شكل إلى آخر.

بمعنى أن الدجال هو نفسه السامري وهو نفسه ابن صياد ونفسه الذي عنده علم من الكتاب وهو نفسه عبدالقادر هو نفسه الذي في الكهف مقيد بالسلاسل الذي قيده النبي سليمان ثم فك قيده في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وساح الأرض وذلك بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يحدث الصحابة **(الدجال يومنا هذا أكل الطعام ومشى في الأسواق)** وهذا بعد قصة تميم الداري رضي الله عنه.

مفلسين وزُج بهم وراء قضبان السجن، وتعرضوا لمشاكل كثيرة.
وبعد خروجهم من السجن كانوا يحدثون من حولهم بأنهم وقعوا في فخ مكين نصبه لهم شخص يقال له عبدالقادر يتحدث بلكنة سودانية؛ ومرافق له من تركيا اسمه أحمد.
كان المغرر بهم يحلفون أيماناً مغلظةً أن عبدالقادر سيعرض فتنته على كل أحد، ويتكلمون بكامل الثقة، أنه يستهدف الدعاة على وجه الخصوص.
ولازال أحدهم يعاني من آثار السحر إلى حال كتابة القصة.
ومن اللافت أن بعض من لهم علاقة بأجهزة المخابرات يكتشفون أن خيوط المخابرات تنتهي إلى أن العقل المفكر والرأس المدبر للماسونية العالمية تنتهي خيوطها إلى تركيا. فهل مرافقة شخص يحمل الجنسية التركية مع عبدالقادر توحي بإدارة عبدالقادر للماسونية.

إذاً الدجال شخصية واحدة تتغير وتتحول فله خاصية غير خاصية البشر فهو قرين إبليس يساعد كل منها الآخر لإغواء البشرية كما جاء في بعض التفاسير تفسير قوله تعالى: **(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ**)** [فصلت:٢٩].

فذكرت بعض التفاسير في تفسيرها: **(من الجن إبليس ومن الإنس الدجال).**

إن الدجال هو الذي يسير الماسونية اليوم ويسيح الأرض لتنفيذ مخططه حقيقة واقعية تثبتها الأدلة والواقع المشاهد لمن كان له قلب يبصر بنور الله.

وهو يدير قوى الشر كـ(الماسونية واليهودية والعلمانية وغيرها) من خلف الكواليس ويسعى لإشعال الفتن ويسيح الأرض.

ولو تقرأ عن الماسونية واليهودية وتتوسع في ذلك لوعيت ماذا أقصد بقولي(يديرها من خلف الكواليس) لأنك لو تتبعت مراتب ومراحل الماسونية وبحثت في أعضاءها خاصة الماسونية الحمراء (المركزية) لانتهى بك المطاف في السلم الهرمي إلى شخصية سرية غامضة لا يسمح بالدخول إليها ومقابلتها إلا أشخاص يعدوا بالأصابع وكلهم من اليهود ليضعوا الخطط ويسمعوا ما يملي عليهم هذا الشخص (الدجال) ثم يباشروا العمل وعند انتهاءهم من ذبح البقرة الحمراء وبناء الهيكل تخرج هذه الشخصية الغامضة للعلن لتدير المشروع اليهودي الدجالي وتسيطر على بقية المماليك لتحكم العالم ١٠٠٠ سنة على حد زعمهم.

فالدجال ليس شخص بسيط فقط أعطاه الله خوارق وفتح له من شتى العلوم فتنة للعباد، وقد أُعطي علم من التوراة والإنجيل والقرآن وغير ذلك وعنده قدرة كبيرة في المكر والخداع والإقناع.

والدليل على أن للدجال خاصية التغير من شكل إلى شكل ومن حجم إلى حجم **!!** سأكتفي بدليلين فقط.

الأول: قصة عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استفز ابن صياد وضربه بعصاه **(انتفخ ابن صياد حتى ملأ سكة المدينة ثم اختفى).**

فهل يمكن لأحد من البشر أن ينتفخ ويكبر حتى يملأ الشوارع ؟؟!!!.

الثاني: عندما يهرب الدجال بعد أن يرى عيسى عليه السلام **(فيذوب كما يذوب الملح في الماء)** فيقتل الدجال ويري الناس دمه في حربته.

فهل يمكن لأحد من البشر أن يذوب كما يذوب الملح في الماء؟؟!!.